الإســـلام وطـــــن

للامام المجدد السيد محمد ماضي ابوالعزائم

مسجده وضريحه ومكتبته العلمية بالقاهرة

ومشيخة الطريقة العزمية

السيدة زينب تقاطع شارع مجلس الشعب مع تقاطع

شارع بورسعيد

تليفون المكتبة / 002 022 3901030

بسم اللّه الرحمن الرحيم

فاتحة الكتاب

الحمد لله، من ذا يعرف قدرك فلا يخافك، ومن ذا يعلم ما أنت فلا يهابك، ألّفت بقدرتك الفرق، وفلقت بلطفك الفلق، وأنزت بكرمك دياجى الغسق، وأنزلت من المعصرات ماءاً ثجاجاً، وجعلت الشمس والقمر للبرية سراجاً وهاجاً.

والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ المظهر الأكمل الذى أشرقت منه بدور الشرائع الأولية، فانمحت تلك البدور من شدة تلك الأنوار القدسية.

وعلى آله الأئمة الهداة المهديين، أوليائك المصطفين، وحزبك الغالبين، وصفوتك وخيرتك من خلقك الذين جعلتهم حجة على العالمين. وعلى صحابته الهادين المهديين. ورضى الله تبارك وتعالى عن الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم عليه السلام فرع الشجرة النبوية والدوحة الهاشمية، المضيئة المثمرة بوراثة النبوة، المونقة بالإمامة.

ونضر الله وجه خليفته الأول الإمام الممتحن السيد أحمد ماضى أبو العزائم عليه السلام المطيع لله القائم بأمره الفائز بكرامته، الناصر لدينه، الداعى إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة.

وبعد فتقدم دار الكتاب الصوفى – وهى إحدى أنشطة مشيخة الطريقة العزمية – الطبعة الثالثة من كتاب " الإسلام وطن والمسلمون جميعاً أهله " ولن ألخص فى فاتحة الكتاب أبواب وفصول موضوع هذا الكتاب حتى لا أفوت على القارئ المسلم متعته به ولكن أنبه إلى جلال موضوعه وعظيم خطرة.

فلقد أبتلى الإسلام على مر العصور والدهور بالأعداء الذين أحاطوا به من كل جانب، والمؤامرات التي دبرت ضده لتفرق كلمته وتشتت شمله، من يوم الردة إلى أيام الانقسام والحروب، إلى نكبة هولاكو والمغول، إلى هجمات الصليبيين، إلى إلغاء الخلافة الإسلامية وتفريق كلمة المسلمين وجعلهم أمماً وشعوباً مختلفة، بعد أن كانوا تحت لواء الخلافة الإسلامية أمة واحدة. إلى

الأفكار والمبادئ الهدامة كالشيوعية والعلمانية والوهابية والماسونية والبهائية و القديانية. إلى الأحزاب السياسية المتناحرة.

نكبات تلو نكبات ولكنها دون ما يواجه الإسلام فى هذه الأيام من حملات الإبادة من الصليبية والصهيونية والشيوعية والعلمانية والوهابية، واجتمعت أمام العالم الإسلامي لمحاربته واستعباده من طاجيكستان إلى أذربيجان إلى البوسنة والهرسك إلى كوسوفو والبانيا إلى بورما والهند وكشمير إلى سيريلانكا والفلبين، إلى نيجيريا وليبيريا والصومال، إلى اللاجئين المسلمين فى فرنسا وألمانيا وايطاليا وأسبانيا من المغاربة والجزائريين والأتراك.

وبالتفصيل ففي قارة آسيا قام الوثنيون البوذيون وبالتحديد فى بورما فى شهر شوال ١٤١٢هـ إبريل ١٩٩٢م – بقتل المسلمين، وإلى بنجلاديش بلاد الفقر والحرمان طردوهم وشردوهم، فعانوا من قهر وجوع وألم العرى وجحيم الحرمان دون أن ينتظروا عوناً من حاكم مسلم ولا عالم مسلم ولا من شعب مسلم لأن حكامنا يغدرون ويخدعون وعلماؤنا مشغولون بالطواف حول البيت الأبيض أما الشعوب الإسلامية فإنها ضحية الفقر والجوع أو الغزو الثقافى الذى إغتال روحه وهويته.

وفى الفلبين : حدث ولا حرج خمسة مليون مسلم وهم جبهة تحرير " مورو الإسلامية " تخوض غمار حرب صليبية كانت نتيجتها قتل مائة ألف مسلم وتشريد نصف مليون وإغتصاب مليون هكتار من أرض المسلمين وحرق البيوت والمساجد والمدارس.

وفى تركستان الشرقية : دخل شعبها المسلم فى صراع دام قرنين وإنتهى الصراع بإحتلال أرضه، ومحاولة إذابة شخصيته الإسلامية فى محيط بشرى يحاول إبتلاعه، فتارة يحتل أرضه الروس فى غزو قادم من الغرب، وتارة أخرى تأتيه جحافل الغزاة من الشرق من الصين وأخيراً ضم إقليم التركستان الشرقية عنوة إلى الصين. و لم يستسلم شعب التركستان المسلم للإحتلال الصينى بل قاوم هذا الغزو، وحاولت الصين تهجير الملايين من سكانها إلى التركستان لتحد من الأغلبية الإسلامية التي وصلت إلى ٩٠% قبل سياسة التهجير لطمس المعالم الإسلامية. وأغلق الشيوعيون المدارس الإسلامية والمساجد واستولوا على الأوقاف الإسلامية.

وفى أذربيجان : سيطر السوفيات عليها فواجه المسلمون تحدياً فى تضييق الخناق على عقيدتهم فلقد هجَّر الروس أعداداً كبيرة إلى أذربيجان بحيث أصبحوا يشكلوا أكثر من ١٠% من السكان وتقلص عدد المساجد من الآلاف إلى ١٦ مسجد، كما نقص عدد المدارس الإسلامية بل أصبحت فى حكم المنتهية. وبعد زوال الحكومة الروسية استقلت حكومة أذربيجان ولكن قام صراع بين أذربيجان وأرمينيا حول إقليم " ناجورنو كاراباخ " بينما كان قادة أذربيجان منهمكين فى الصراع على السلطة الذى بلغ ذروته بهروب الرئيس أبو الفضل التشيمى من العاصمة باكو فسقطت مدينة هامة فى إقليم ناجورنو كاراباخ المتنازع عليه مع أرمينيا فى أيدى الأرمن و لم يعد هناك أذربيجاني مسلم واحد فى الإقليم والسبب فى ذلك هو الصراع على السلطة بين قادتها وقيام المتمردون الأذربيجان بقطع طريق الإمدادات العسكرية من باكو إلى القوات الحكومية فى " ناجورنو كاراباخ " وكأن إقالة الرئيس أهم وأولى من ضياع السيادة على الإقليم. وإنا لننتظر من الأمم المتحدة " على المسلمين " أو مفتيها بطرس بطرس بطرس غالى أن يَحْدُثَ فى أذربيجان مثل ما حدث فى الصومال وفلسطين والبوسنة والهرسك.

وفى طاجيكستان : وهى إحدى الولايات فى وسط آسيا التى تحررت من الإحتلال الروسى وقامت الجبهة الإسلامية بطرد عميل الشيوعية رحمن نابابيف فإذا بالدبابات الروسية تحاول ارجاع هذا العميل إلى مقعد السلطة فى طاجيكستان وأعملت القتل فى الجبهة.

وفى كشمير وجامو : نسبة المسلمين بها أكثر من ٧٥% وغداة إستقلال الهند وباكستان ١٩٤٧م كان يحكم كشمير مهراجا من الهندوس على الرغم من الأغلبية المسلمة، وقد ثار المسلمون مطالبين بالإنضمام إلى باكستان وقامت الحرب بين الدولتين إلا أن الأمم المتحدة " على المسلمين " لم تفصل فى النزاع وتجمد الوضع على أن ثلث كشمير أصبح لباكستان والثلثين يتبع الهند ويبلغ عدد المسلمين فى كشمير وجامو حوالى ٧,٥ مليون ففي القطاع الهندي ٤,٥٠٠,٠٠٠ مسلم وفى القطاع الباكستانى ٣,٠٠٠,٠٠٠ مسلم. ويتعرض المسلمون فى كشمير إلى تحديات عقائدية ومذابح بين المسلمين والهندوس، وفى ديسمبر ١٩٩٢ قام الهندوس بهدم المسجد البابرى فى أبو جينيا من أجل الوثن رام وذلك بإيعاز وتشجيع المخابرات الإسرائيلية كى يكون هدمه مقدمة لهدم المسجد الأقصى وكذلك لكسر شوكة المسلمين فى الهند وفتح الباب أمام هدم ثلاثة آلاف مسجد أخرى .

وفى أفغانستان : انتصر المجاهدون من أبناء الطرق الصوفية على روسيا ولما تدخلت الوهابية بعد طرد الروس لم يكن لها من حجة إلا بث الفرقة بين صفوف المجاهدين فغيرت اسم أحد القادة من عبد الرسول سياف إلى عبد رب الرسول وأشاعت بين صفوف المجاهدين الفكر الوهابي فراح كل فريق يقتل بعضه بعضاً طمعاً فى كرسى السلطة ويشعلون الجحيم فى كابول. والإسلام ينهزم كل يوم فى أفغانستان تحت وقع قنابل الفرق المتقاتلة، وأهداف الإسلام تتمزق مع إنفجارات صواريخهم.

وفى الجنوب اللبناني: تدك الطائرات الإسرائيلية جنوب لبنان كل يوم فى صمت كامل ورضا من الأمم المتحدة " على المسلمين " وبلا تعليق من أمينها العام ترزى الشرعية. وقد إستمرت الحرب الأهلية اللبنانية مشتعلة لأكثر من خمسة عشرة سنة، وأكلت الأخضر واليابس، وقتلت مئات الألوف وخربت بيروت، ومازالت لبنان خراباً ومع ذلك ستمضى الأمم المتحدة " على المسلمين" فى تآمرها على الإسلام والمسلمين.

وقد قامت إسرائيل فى أغسطس ١٩٩٣ بالرد على بضعة صواريخ كاتيوشا أطلقت من الجنوب اللبنانى بإطلاق ٣٥ ألف قذيفة خلال سبعة أيام من الضرب المتواصل على جنوب لبنان وكانت النتيجة فرار نصف مليون لبنانى مسلم من الجنوب إلى الشمال وتفريغ الوف الهكتارات من الأراضى من سكانها وتدمير ٧٥ مدينة وقرية.

وفى قبرص : قبل الحكم البريطانى كان سكان الجزيرة ٦٠,٠٠٠ من الأتراك، ٢٠,٠٠٠ من اليونانيين. وفى ظل الحكم البريطانى زادت هجرت اليونانيين إلي الجزيرة، وبالمقابل هاجر الأتراك منها. والآن يقترب عدد الأتراك المسلمين بقبرص من ١٢٠,٠٠٠ نسمة وعدد اليونانيين حوالى ٥٢٩,٠٠٠ نسمة ويعيش معظم الأتراك فى القسم الشمالى من الجزيرة وتناقص عدد الأتراك بعد هزيمة تركيا فى الحرب العالمية الأولى،وتعاقب الإصطدامات بعد ذلك بين الطائفتين التركية واليونانية وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية طلب القبارصة الأتراك بإستقلال الجزيرة مما أدى إلى تقسيم الجزيرة ففى القسم الشمالى شكل الأتراك حكومة منذ ١٩٧٥ وفى القسم الجنوبى والأوسط شكل اليونانيون حكومة القبارصة اليونانيين. و لم تَسْلمَ قبرص المسلمة من مخططات ترزى الشرعية لمخططات الأمم المتحدة " على المسلمين " حيث صرح رءوف دنكتاش رئيس قبرص الشمالية بأن

العميل بطرس غالى طلب منه التنازل عن مدينة كاملة لليونان المسيحيين بدعوى أنها مسيحية وهى مدينة " جوزيل يورت ".

وفى فلسطين : منذ الإنتداب البريطانى لها والإنتهاب الإسرائيلى يعمل لإغتصاب أرضها. وبعد حرب ١٩٤٨ وهزيمة الجيوش العربية أمام العصابات الإسرائيلية أعلن قيام دولة إسرائيل واستمرت المذابح الإسرائيلية لمسلمى فلسطين مع رضاء بريطانى وفرنسى تام حتى تم إعتبار القدس عاصمة لدولة إسرائيل ومن يومها تمارس إسرائيل القتل والإعتقال والطرد فتلقى بأربعمائة فلسطينى وتضرب عرض الحائط بكل قرارات الأمم المتحدة " على المسلمين". وتدك إسرائيل بطائراتها المخيمات الفلسطينية فى صبرا وشاتيلا.

وفى العراق : حرضت أمريكا العميل صدام حسين لحرب إيران التى استمرت سنوات ثمان وأمدته كل الدول الأوربية والعربية حتى أصبحت العراق ترسانة حربية ضد إيران ثم حرضت أمريكا عميلها الخائن صدام حسين على غزو الكويت فقامت أمريكا ومعها الصليبية الأوربية بدك الشعب العراقى وكالعادة كافأت صدام حسين فلم تمسه بسوء وحافظت على سلامته فهو ثروة لها فى بلاد الخليج – بلاد البترول – ومازالت أمريكا تهدد العراق بضربها بالصواريخ إذا لم تضع كاميرات التجسس الأمريكية فى هذا الموقع أو ذاك من أرض العراق.

وفى أوربا : فى البوسنة والهرسك عملية إبادة عرقية وطرد جماعى لثلاثة ملايين مسلم من أرضهم وقتل اكثر من مئتى ألف شهيد وتعذيب وحرق للمسلمين أمام تواطؤ عالمى من الأمم المتحدة " على المسلمين " وأمام دول عربية تكتفى بالشجب والإستنكار ودول إسلامية تخفى رؤوسها فى الرمال وكلهم عملاء للمخابرات الأمريكية حتى أن سفاح الصرب " سلوبودان ميلوسوفيتش " يقول : أنه لا أحد يريد أن يكون للإسلام دولة فى أوربا فاليوم البوسنة والهرسك وغدا بلغاريا والبلقان والبانيا وتركيا.

وفى أفريقيا : تواصل الحملة الصليبية ضد ليبيا حيث اتهمت أمريكا ليبيا بتفجير الطائرة الأمريكية فوق لوكربى فإستصدرت قراراً ضد ليبيا يدعو إلى فرض عقوبات على ليبيا تتمثل فى الحظر الجوى والحصار الإقتصادى و لم تتحرك الأمم المتحدة " على المسلمين " بالنسبة لليبيا لأن المخطط الصليبى يريد ذلك.

وفى الصومال : تدخلت الأمم المتحدة بفرية إنسانية وهى إطعام أطفال الصومال فأرسلت ٣٠ ألفاً من عساكرها مزودة بالطائرات والعتاد الحربى الثقيل لتأمين وصول الأغذية إلى الصومال وحقيقة الأمر أن الإنسانية غائبة عن أمريكا وذيولها فالصومال موقع إستراتيجى على بوابة البحر الأحمر بالنسبة لكل الدول التى تقع فى القرن الأفريقى الصومال وارتريا والحبشة وجيبوتى لذلك كان الصومال موضع إهتمام السياسة الأمريكية.

أفيقوا أيها الحكام من رقدة الجهالة ونوم الغفلة :

إن السياسة الأمريكية لها وجهين الوجه الأول مطاردة الإرهاب وإعلان الحرب على القذافى والأسد لأنهما يأويان الإرهاب، والوجه الثانى لأمريكا تفتح به أبوابها لتأوى الإرهابى عمر عبد الرحمن فى بلادها كما تفتح قلبها للإرهابى الإسرائيلى مائير كاهانا وتروج لأفكاره وتحاكم قاتله ". راجع كتاب المؤامرة الكبرى للدكتور مصطفى محمود.

وفى ظل السياسة الأمريكية تفعل أمريكا ما تشاء بشرط أن يكون ذلك وفقاً للخطة الأمريكية فصدام حسين القاتل والإرهابى ظل يتمتع بالحضانة الأمريكية مادام هو يسير على الخطة، وكذلك ماركوس وسياد برى وتشاوتشيسكو الذى كان يتلقى راتباً من المخابرات الأمريكية وكلهم قتلة وإرهابيون استخدمتهم السياسة الأمريكية وساندتهم وأغدقت عليهم المال والسلاح ماداموا تحت سيطرة العمالة الأمريكية وكانت ترى جرائمهم حسنات حتى بدأوا يعملون لحسابهم وهنا فقط أصبحوا إرهابيون وحق عليهم العقاب.

أفيقوا أيها الحكام من رقدة الجهالة ونوم الغفلة :

إن الخطة الأمريكية الآن تحاول أن تدخلنا فى حرب مع إيران والسودان بحجة أنهما يصدران الإرهاب لمصر والجزائر وهذه خدعة أمريكية يستدرجونا إلى حتفنا لنشر الفتن فى المنطقة الإسلامية وإيقاع الكل فى الكل ليضرب بعضهم بعضاً ويخربون بلادهم بأيديهم دون أن تتكلف أمريكا ودول أوربا الصليبية وإسرائيل رصاصة واحدة.

ألم يجمعونا ويجمعوا جيوش العالم فى الخليج لحرب صنعوها فى عقل صدام حسين وأمدوه بسلاحها. وما كان يحلم به صدام حسين من إمبراطورية عربية تحت رايته كان طمعاً وإغتصاباً وكان تغريراً ومكيدة أمريكية وكالعادة كافأت أمريكا صدام حسين فلم تمسه بسوء

وحافظت على سلامته فهو ثروة بالنسبة لسياستها فى أرض البترول لقد كتب " ستيفن رونفلد " فى " الواشنطون بوست " ينعى على حكام المسلمين خذلانهم لإخوانهم الذين يذبحون فى البوسنة والهرسك وفى طاجكستان وأذربيجان والبانيا وبورما، والهند وكشمير وسيريلانكا والفلبين، ونيجيريا وليبريا والصومال، واللاجئين وراء لقمة العيش فى فرنسا والمانيا وإيطاليا وأسبانيا من مسلمى مصر والجزائر والمغرب وتركيا وعلى الجانب العربى لم نجد إلا الشجب والإستنكار له بل إن من بين الدول الإسلامية من وجدنا يبيع بتروله للصرب. ثم فى سخرية وقحة يقول الكاتب الأمريكى " كان هناك كلب ولكننا لم نسمعه ينبح ليدفع الذئاب عن غنمه ولا شك أن الأسد والفهد والنمر الذى تُصوره الصحافة الغربية لم يكن سوى هرة أليفة تموء .

إلى هذه الدرجة بلغت الشماتة بالصحافة الغربية . ترى هل يفيق حكامنا من رقدة الجهالة ونوم الغفلة..!!

وإذا قلتم يا حكام الخليج أن أمريكا والدول الأوربية لا يمكن أن ترتكب هذا الإجرام بالنسبة لدولكم فنقول : يا حكام رقدة الجهالة ونوم الغفلة أليس ضرب البوسنة والهرسك وشعبها الأعزل وتحويلها إلى مقبرة كبرى للمسلمين فى أوربا على مشهد من الأمم المتحدة " على المسلمين " أليس إجراماً أمريكيا !! وضرب العراق بالصواريخ إذا لم تضع الكاميرات الأمريكية فى أرض العراق أليس إجراماً أمريكيا !! نزول أمريكا على شاطئ الصومال فى بعثة إحسان لإطعام الجياع ثم مطاردتهم بالقنابل والرشاشات أليس إجراماً أمريكيا !! وإستباحة الجنوب اللبنانى سبعة أيام لقنابل وطائرات إسرائيل ومحاولة إحراق المسجد الأقصى بأيدى الصهيونية أليس إجراماً أمريكيا أيضاً!!.

أفيقوا أيها الحكام من رقدة الجهالة ونوم الغفلة :

لقد كان شاه إيران يعتقد أنه فى حضانة أمريكا، ومن بعده ماركوس زعيم الفلبين، ونورييجا زعيم بنما، وسياد برى رئيس الصومال فغدرت بهم أمريكا وأسلمت اثنين منهما للموت والثالث للسجن والرابع للنفى ونكست برأس عميلها الخامس صدام حسين فى حضيض الخذلان.

وهذه آثار الذين اطمأنوا إلى عهود الذمة الأمريكية.

نقولها بصراحة لهؤلاء الحكام إن قلب أمريكا وحضانتها دائماً مع أرض إسرائيل، أمـــا عينها فعلى ما تحت رما لكم من بترول حتى تستنفذ ما فيها ثم يكون لها شأن آخر مختلـــف عـــن المواثيق. حتى روسيا التى حصلت على ٤٣ مليار دولار من الدول الخليجية أعلنت أنها مع الصرب. إن الصليبية العالمية والشيوعية والصهيونية كل هؤلاء يتآمرون علينا عرب ومسلمين، وإن أمـــوالكم المودعة ببنوك أمريكا لن تعطيكم أماناً ولا ضماناً، ولا يستطيع أحداً منكم أن ينقل قصراً إشتراه فى إنجلترا أو فرنسا أو سويسرا أو أمريكا إلى بلده.

أيها المسلمون فى الوطن الإسلامى:

لا تقنطوا من رحمة الله، فلا يقنط من رحمة الله إلا القوم الكافرين. لقد ماتت روســـيا وهى حية بدون حرب، وفى جعبتها قنابلها الذرية التى تكفى لنسف الكرة الأرضية عدة مرات، وفى الفضاء تدور سفنها، وسوف يسقط العملاق الأمريكى وتوابعه من الصليبية والصـــهيونية دون أن يطلق عليهم المسلمون رصاصة واحدة. وأين عاد وثمود وإرم ذات العماد التى لم يخلـــق مثلـــها فى البلاد ؟!

وأين دولة الروم والفرس والتتار ؟!

وأين المانيا النازية وإيطاليا الفاشية ؟!

وأين الإمبراطورية البريطانية التى لا تغيب عنها الشمس ؟!

وتلك سنن الله التى لا يملك أحد لها تبديلاً ولا يملك أحد لها تحويلاً.

والله هو الحاكم المنفرد بلا شريك فى هذه الدنيا، وهو الذى يخفض ويرفع فالله قـــادر على أن يرج أرض أمريكا بالزلازل ويغرقها بالفيضانات ويدمرها بالعواصف ويحرقها بالبراكين فى لحظة واحدة رغم الترسانات التى لديها من الأسلحة النووية والميكروبية والكيماوية، وما حـــدث لجيش أبرهة قبل أربعة عشر قرناً من الزمان من طير أبابيل فالمولى سبحانه سيدمر أمريكا وعملائها.

انظر كيف فعل إعصار أندرو فى ساحل ميامى بأمريكا فى لحظة واحدة لقد دمر هـــذا الإعصار المدن الأمريكية وكلف أمريكا ١٣ مليار دولار فى لحظة واحدة.

انظر إلى قدرة الله تجد أن تكلفة إعصار اندور ١٣ مليار دولار فى لحظة واحدة بينما ما تكلفته أمريكا والدول الغربية والعربية والإسلامية فى حرب الخليج زهاء عام كانت تساوى نفس هذا المبلغ.

والقرآن حدثنا أن نهاية إسرائيل وتدميرها سيكون على يد المسلمين قال تعالى : ﴿ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ سورة الإسراء آية٧ أى يدمروا كل ما أقامت إسرائيل من مستعمرات وكل ما عمرت من أرض.

وبهذا تنبأ الإمام المجدد أبو العزائم عليه السلام فى كتابه الجفر حيث قال فى حق أمريكا.

اكيرما قد رماها الظلم فانمحت من بعد زخرفها فى كل أدوار

وقال فى حق بريطانيا وفرنسا وغيرها

يا بريطانيا قد ظلمت ولكن شق ظلم العباد منك المرارة
يا فرنسا نشرت كفرا وزورا بين أهل التوحيد بئس التجارة
والقوى القهار أمهل حتى أحرق الكل من لهيب الشرارة

وقال فى حق إسرائيل

فى فلسطين فتنة من رآها قال صغرت لكنها نار واصب
فى فلسطين قد تلوح شئون محو صهيون والقوى السالب

يا أدعياء الصحوة الإسلامية :

أقول لكم بصراحة لقد حاولتم الوصول إلى الحكم منذ عهد الملك فاروق فسلط الله عليكم البوليس المخصوص وحاولتم الوصول فى عهد الناصر فسلط الله عليكم المباحث العامة ثم حاولتم الوصول إلى الحكم فى عهد السادات فسلط الله عليكم مباحث أمن الدولة ثم حاولتم الوصول إلى الحكم فى عهد مبارك فسلط الله عليكم الأمة بأكملها ممثلة فى شعبها الواعى وجهاز الشرطة بكافة تخصصاته. فلماذا لم يمكنكم الله من الوصول إلى السلطة ؟؟. وكانت النتيجة فى كافة هذه المراحل أحكام الإعدام والأشغال الشاقة المؤبدة والمؤقتة.

أتظنون أن الله الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور يخفى عليه شعار " الإسلام هو الحل " كما سبق لأسلافكم أن رفعوا هذا الشعار فنادوا " ليس الحكم لك يا على وإنما الحكم لله " شعار براق يأخذ بلب السامع فيخال القائل به حريصاً على تطبيق أحكام الله، ورافضا لأحكام غيره من البشر ولكن الحقيقة ليست كذلك، قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ سورة البقرة آية ٢٠٤. نعم كثيرا ما نغتر بالشعارات البراقة ولا نعرف ماذا تخفى ولكن الإمام على يعرف ذلك لأنه باب مدينة العلم فأجابهم " إنها كلمة حق يراد بها باطل " لأن الله لا يريد أن تحكم بلاد الإسلام من خلال رصاصات ومتفجرات وإغتيالات بل يريد لبلاد الإسلام أن تحكم من خلال الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

كما أن الله لا يريد أن يحكم بلاد الإسلام من خلال الجهاد الأصغر بل من خلال الجهاد الأكبر ألا وهو جهاد النفس. فالإسلام دعوة لا ثورة وإستنارة لا إنقلاب.

لقد أخطأتم حينما تحولتم من دعاة إلى الله إلى دعاة للتسلط على الحكم تارة بالجهاز السرى وتارة بالتكفير والهجرة وتارة بالجهاد الأصغر لا الأكبر. فالعنف ليس سبيلا للوصول إلى السلطة والإرهاب ليس طريقاً للحل.

أقول لكم هذا وأقول للغنوش زعيم حزب النهضة الإسلامى بتونس وأقول لعباس مدنى زعيم الحزب الإسلامى للإنقاذ بالجزائر وأقول لزعيم حزب العدل والإحسان بالمغرب وأقول لحسن الترابى زعيم حزب الإخوان فى السودان وأقول لنظرائهم فى سوريا والأردن ومصر. ليت لهؤلاء وأولئك من أدعياء الصحوة الإسلامية أن يكفوا عن تطلعهم للحكم ويتفرغوا للدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وإلى تحبيب الناس فى الإسلام بالقدوة الحسنة والأسوة الطيبة لا بالتدمير بل بالتعمير ولا بالإغتيالات بل بالإبتهالات أن يغير الله حالنا إلى أحسن حال.

يا أدعياء الصحوة الإسلامية :

إنكم فى الحقيقة لستم شباب صحوة بل شباب كبوة، أنتم سلالة الخوارج على مر العصور والدهور وسلالة من قتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه، أنتم سلالة من قتل الإمام على عليه السلام معلنين شعار " إن الحكم إلا لله " هذا الشعار الدوار بكل عار ودمار

وبوار. أنتم سلالة الخوارج التى قامت فى القرن الثالث الهجرى وتمسحت بثوب السلفية. وأنتم سلالة الخوارج التى ظهرت فى القرن الرابع الهجرى تحت اسم الظاهرية ورفع شعارها الخارجى ابن حزم الظاهرى. وأنتم سلالة الخوارج التى ظهرت فى القرن السادس الهجرى ورفع شعارها الخارجى الأزرقى ابن تيمية. وأنتم سلالة الخوارج التى ظهرت فى القرن الثانى عشر الهجرى تحت اسم الوهابية التى زرعها البدعى النجدى محمد بن عبد الوهاب. وأنتم سلالة الخوارج التى ظهرت بطلاء الأصولية فى أيامنا هذه.

وتشترك عقائد الخوارج فى كل أطوارها فى صفة واحدة وهى تكفير كل من يختلف معها من المسلمين وبذلك يحل دمه وماله وعرضه. فإما أن تكون خارجياً (سلفياً أو ظاهرياً أو أصولياً) وإما أن تكون كافراً.

والأصولية كما يقول الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى عميد كلية الشريعة بدمشق : " أنها مصطلح بريطانى " ومولتها أيد عميلة وهى مصطلح زائف مثل مصطلح الوهابية والتيمية والسلفية والظاهرية.

يا أدعياء الصحوة الإسلامية :

لا تسموا ما تفعلون فى مصر وتونس والجزائر والمغرب من إغتيالات وانفجارات أن هذا جهاداً إسلامياً ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ سورة الكهف آية ٥. إنكم وهابيون مجرمون عملاء مستر همفر قديماً وحديثاً أعوان الموساد وسماسرة الCIA

وأقول للخارجى عمر عبد الرحمن إن حضن بوش وكلينتون لن ينفعه، ولقد كان شاه إيران يحتمى بالحضن الأمريكى من قبل. وفى أخريات حياته رفضت أمريكا أن تؤويه و لم يجد غير مصر تحتضن رفاته.

إخوانى فى الله وأحبابى فى سيدنا رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ :

تمسكوا بصوفيتكم التى لا تتطلع للسلطة وتكتفى بالدعوة إلى الله على بصيرة وبالحكمة والموعظة الحسنة، وإلى تحبيب الناس فى الإسلام بأن تكونوا أنتم أولا القدوة والأسوة والمثل ولو أدرك شباب الكبوة الإسلامية أن صولجان الحكم من جهنم لما تسابقت إليه أيدى الجماعات

الأصولية أى عروش من جهنم يجلس عليها فجار ومجرمى الأرض أمثال كلينتون ويلتسين وميتران وجون ميجور وكول !!،أى كراسى من أجل الجحيم يجلس عليها هؤلاء !! هذا بالنسبة لكراسى حكام أمريكا وعملائها من حكام الدول الصليبية. أما كراسى الحكم فى الدول العربية فهى قطع شطرنج تلعب بها أمريكا. فالحمد لله أن الصوفية لا تطالب بالجلوس على هذه الكراسى ولا تفكر فيها وليس هذا تواضعاً ولكن وعياً وإدراكاً والحمد لله رب العالمين.

إخوانى فى الله وأحبابى فى سيدنا رسول الله ﷺ وآله :

والإمام أبو العزائم عليه السلام يحارب فى هذا الكتاب التفرقة العصبية، والتباعد القبلى والتناحر القومى. فلا معنى لكل ذلك إلا أنه من آثار الجاهلية التى قضى عليها الإسلام، فالتركى يقاتل إلى جانب العربى، ويجاهد الفارسى إلى جانب الإفريقى. ويقف الجيش المسلم وهو خليط من أجناس وقوميات وشعوب وقبائل مختلفة، وهو كالقلعة الحصينة، نصبت لحماية الوطن الإسلامى. وأهل هذا الوطن هم إخواننا المسلمون فى المشارق أو المغارب.

والعجيب أن نجد غالبية دعاة التفرقة والتباعد القومى وموجهى الأحزاب العقائدية هم من غير المسلمين وهم يدعون إليها المسلمين. وفى بلاد الإسلام.

فزعيم حزب الشعب العربى الإشتراكى (ميشيل عفلق) وهو غير مسلم. وزعيم حزب القوميين السوريين (أنطون السعادة) وهو غير مسلم وزعيم القوميين العرب (جورج حبش) وهو غير مسلم. (وقسطنطين زريق) زعيم فريق آخر من القوميين وهو غير مسلم.

والإمام أبو العزائم عليه السلام فى هذا الكتاب ينبه المسلمين إلى المؤامرات الإستعمارية التى حيكت خيوطها لإخراج الإسلام من ميدانه العالمى الفسيح إلى دروب القومية والجنسية الضيقة.

فالعربى، هو كل شئ بالإسلام وهو لا شئ يذكر إذا تجرد من الإسلام.

والإفريقى هو كل شئ بالإسلام وهو لا شئ يذكر إذا تجرد من الإسلام.

والآسيوى هو كل شئ بالإسلام وهو لا شئ يذكر إذا تجرد من الإسلام.

ولقد عرف القارئ المسلم أهمية هذا الكتاب عندما قام بنشر طبعته الأولى سيدى العارف بالله والدى السيد أحمد ماضى أبو العزائم ﷺ فى غرة محرم ١٣٣٨ هـ فكثر الطلب له والإقبال عليه حتى نفذت نسخه، وأعدت بحمد الله وبركته طبعته الثانية فى ربيع الثانى ١٣٩٣هـ ثم أعدت طبعته الثالثة فى صفر ١٤١٤هـ.

وبعد. فإن هذا الكتاب لا يحتاج إلى تصدير ولكن قدر الله وما شاء فعل أن يشرفنى فيجعل لى كلمة فى أول هذا الكتاب والله أسال أن يحقق من الخير بآثار الإمام أبى العزائم العلمية فيما يأتى من الأيام أكثر مما حقق فيما مضى وأرجو الله تبارك وتعالى أن ينفع به ويجعله خالصاً لوجهه الكريم إنه نعم المولى ونعم النصير والحمد لله رب العالمين.

دار الكتاب الصوفى

الاثنين

٢٧ صفر ١٤١٤هـ

١٦ أغسطس ١٩٩٣م

الخليفة الثاني للإمام

السيد عز الدين ماضى أبو العزائم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير، وعد أهل طاعته بأن يستخلفهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم – ووعده الحق – وهو على كل شئ قدير، سبحانه هو مالك الملك، يؤتى الملك من يشاء، ويترع الملك ممن يشاء، يعز من يشاء، ويذل من يشاء، بيده الخير وهو على كل شئ قدير. وعد – ووعده الحق – أن يظهر دينه على الدين كله، وبشر عباده المخلصين بقوله : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾[1]

وقال سبحانه وتعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ [2] سبحانه وتعالى يُجَدِّدُ ولا يَتَجَدَّد، والصلاة والسلام على الرءوف الرحيم خاتم رسل الله، من أكمل الله به دينه وأتم به علينا نعمه، وآله الأطهار، والمهاجرين والأنصار، الذين قاموا لله بصدق وإخلاص ؛ ففتح الله بهم قلوباً غُلْفاً وآذانا صُمًّا، وأعيناً عُمْياً، وجاهدوا فى الله حق جهاده.

وبعد،فإن كل واحد من المسلمين يجب عليه أن ينصح لله ولرسوله ﴿ ﷺ وآله﴾ ولخاصة المسلمين وعامتهم، وخصوصا عند نسيان العامة وسهو الخاصة، لتقوم القلوب – من نومة الغفلة ورقدة الجهالة – عاملة بالإخلاص لله لنفوز بنيل معية الله تعالى، فيكون الله معنا كما كان مع سلفنا الصالح، وبذلك يجدِّد لنا مجدنا الذى كان لنا، ويحفظنا فى أوطاننا ويجعلنا أئمة لغيرنا وسادة عليهم كما كنا مذ كان الله معنا، بعنايته وتوفيقه وهدايته وإحسانه وفضله ورحمته.

وإنما هى نظرة بفكرة تنتج اختياراً للعمل الصالح، ورغبة فى الآخرة، وعملا فى الدنيا لله سبحانه ولرسوله ﴿ ﷺ وآله﴾ وللدار الآخرة.

---

(١) سورة النور آية ٥٥.
(٢) سورة التوبة آية ٣٣.

ولما كان أهم ما نسيناه – نحن المسلمين – الوطن والنسب والعبادة والأدب الإسلامى، واعتصامنا بحبل الله، والواجب على كل مسلم لكل مسلم، وعلى كل مسلم للمجتمع الإسلامى، وعلى المجتمع الإسلامى لكل مسلم.

شرح الله صدرى لتفصيل تلك المجملات وتوضيح تلك المبهمات ؛ فكتبت فى كل أصل من هذه الأصول رسالة، الأولى : (الإسلام دين) والثانية : (الإسلام وطن) والثالثة : (الإسلام نسب) ثم جمعت بقية الأصول فى رسالة رابعة سميتها : (وسائل نيل المجد الإسلامى) وهذه الرسالة هى رسالة : (الإسلام وطن).

والله أسأل أن يمنحنى الإخلاص فى العمل ، وأن يتفضل على بقبوله، وأن يشرح صدور إخوانى المؤمنين للإقبال عليه بالعمل ، حتى نبلغ جميعاً الأمل بجاه حبيبه ومصطفاه ﴿ ﷺ وآله﴾ .

اللهم أيدنى بروح منك، ووفقنى للصواب فى القول والعمل، وألهمنى الحكم، ويسر لى البيان، إنك مجيب الدعاء.

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يقيمنا مقام العمال المخلَصين لحضرته العلية، ويهب لنا من العطايا والآيات ما به يجدد بنا السُّنَّةَ، ويجمع القلوب على الحق، إنه مجيب الدعاء وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله.

خديم الفقراء

محمد ماضى أبو العزائم

الباب الأول

الإسلام وطن والمسلمون جميعاً أهله

الفصل الأول

الإسلام وطن

كم أخفى الجهل معالم الحق وشوَّه جماله :

ليس بين أن يكون الإنسان على الحق البين أو يكون على الباطل، إلا كما بين العلم والجهل، وكم أخفى الجهل معالم الحق وشوه جماله !! وكيف لا ؟ وتلك معالم الفضائل دارسة، ومراقى السعادة خافية، وأنوار الحق محجوبة ؛ كل ذلك للجهل بأسراره، والغفلة عن الإطلاع على مقدماته المنتجة.

لست أعنى بالجهل : الجهل بعلوم اللسان ذلقا، أو بفنون تنوع المادة إلى أن تصيرها صوراً صالحة للانتفاع بها، أو بالأساليب التى يجلب بها الإنسان النفع الوقتى، ويدفع عنه الضار الوقتى، بحسب ما يلائم حِسًّا وميولا، إنما أريد بالعلم : فقه القلب الذى هو نور يجعله الله فى قلب العبد التقى، فيشهد به من وراء ستائر الكون أسرار غد من حيث المآل وحسن المستقبل.

جهل الناس فى زماننا هذا حكمة إيجاد الكون ونسوا يوم الحساب ، فحرصوا على نيل جميع آمالهم وحظوظهم فى الدار الدنيا، حتى عمت عيون الفكرة عن أسرار الآيات المشرقة فى الآفاق وفى أنفسهم، وبنسيانهم يوم الحساب جهلوا الفضيلة وطرقها والحق ووسيلته.

لا أخص العامة دون الخاصة، فإنا – والحمد لله – فى زمان أصبحت فيه الألسنة أسنة، والأقلام سيوفاً، والتفنن فى مدح ما يلائم الفرد وما ينبه بذكره ديناً يدان به، كان ذلك حقا أو باطلا، حتى صار الخطيب المصقع، والكاتب البليغ، يشّرع للناس آراء ومذاهب، تارة يستند فيها إلى من يهواهم، وآونة يرويها عن من يقلدهم، وحالا يبرهن عليها بعمل أفراد لا خلاق لهم، طَمْساً

لمعالم الحق، وإخفاء لأنوار الفضيلة الحقة، ومحواً لآثار الأئمة الهداة الدالين على الحق والفضائل بالقول والعمل.

لم يكن ذلك إلا لجهل القلوب، وعدم فقهها، لأنه علم لا ينفع، وعمل لا يرفع، وليس بمبدأ صحيح يتكون منه مجتمع، يلهج به الداعى وهو يحسب أنه يحسن قولا وعملا بما يسميه الوطن، والأمة والنسب والمدنية نغمة على غير وتر، وصوت من جوف خال، طالعها فى كتاب فنسى المبدأ وخالف الصواب ، أو سمعها ممن يعظمه فى عينه فحسب كل بيضاء شحمة، وإذا ذكر بالدين قال : تعصب، وإذا وعظ قال: تقهقر،وإذا بين له الحق قال : جمود. كلمات ظاهرها ملائم للنفس اللقسة، وباطنها من قبله العذاب.

حقيقة تعريف الوطن :

الوطن ما يؤويك آمنا فى سربك،معافا فى بدنك، ميسراً لك قوتك، سواء كان محل مولدك أو دار هجرتك.

الوطن هو الإسلام وليس هو أرضا خضراء، أو أفقاً من سماء زرقاء. بل ذلك الوطن هو الإسلام، نعم، لأن العمل بروح الإسلام يجعل المسلمين رجلا واحداً كل فرد منهم عضو لذلك الجسد. سَوَّى الإسلام بين الإمام الأعظم على عرش ملكه،وبين أحقر عامل ما دام قائماً بواجبه وبتنفيذ أحكام الإسلام والعمل بوصاياه.

يعمل كل مسلم لخير المسلمين، فيكونون جميعاً عاملين لواحد، يتألم الأمير إذا تألم الحقير، ويفرح الحقير إذا فرح الأمير، وكفى المسلم فخراً – بعد العلم بالإسلام – أن يكون وطنه الإسلام، لأنه بالمحافظة عليه يسعد السعادتين : سعادة الدنيا والآخرة، لأن العمل بالإسلام قوة لسلطان المسلمين، ونشاط لأبدانهم، وشجاعة لقلوبهم، وعزة لنفوسهم وجمال لأخلاقهم، وبهجة لأرواحهم، وصفاء لوقتهم. وكيف لا ؟ والمسلم خزانة المسلم وكنزه حيث كان وأين كان، وسمعه وبصره وسيفه ورمحه، يحافظ المسلم على تجارة أخيه، ويعكف بنفسه على صناعته، ولا يأخذ إلا منه، ولا يستعمل غيره فى حوائجه، لأن المسلمين رياض يانعة لبعضهم، وأشجار دانية الجنى لكل فرد منهم، فيكون الإسلام هو الوطن العزيز، والمسلم هو الأخ الشفيق والشقيق.

ونحمى وطننا بأنفسنا وأموالنا، وندافع عنه بألسنتنا وأقلامنا، لأنه وطننا العزيز، ومسقط رؤوسنا، ومحل نعمتنا وثروتنا، وسعادتنا فى الدنيا والآخرة.

نعم، يجب علينا أن نجعل أرضاً أقلت المسلمين، وسماء أظلتهم وأنهاراً أروتهم ؛ محل عنايتنا، عملا بالإسلام وحفظاً للمسلمين.

جهل الناس فظنوا أن الوطن أرض سقط رأس الإنسان فيها وتربى عليها، نعم، هى وطن مجازاً، والوطن الحقيقى هو الإسلام لأن كل إنسان يغالى فى حب تلك الأرض إذا سمع بأن أرضاً أخرى يمكنه أن يحصل فيها على الكماليات، فارق تلك الأرض منشرح الصدر بمفارقتها، قرير العين بالبعد عنها ، واستبدل بها غيرها، ولو أسِنَ ماؤها واكفهر جوها، ورعن هواؤها.

عجباً للإنسان يقول : وطنى وطنى !! ما وطنك أيها المسلم إلا الإسلام، الذى بإحياء معالمه سعادتك فى الدنيا والآخرة، وبالعمل بوصاياه مجدك فى الدنيا والآخرة، لو أن الوطن الذى تدافع عنه وتغار عليه تلك الأرض الغبراء والسماء الزرقاء فما بالك تركب همة العزيمة إلى النأى عنه لطلب الكمال مع تيسير الضرورى بوطنك وزيادة ؟!.

أفِقْ أيها المسلم، لا تجعل لك وطناً غير الإسلام، ولا مسقط رأس غير الإسلام، عنه فدافع تسعد، وبه فاعمل تكن من المفلحين. عجباً لأصحاب الأقلام وقد سودوا صحائف أوراقهم بحماسة للقارئ حتى رأى أنهم تميزوا غيظاً، واحترقوا غيرة على الوطن !! وهم العاملون على ضياع الخير ومحو السعادة من أبنائه، تراهم يتحيزون بالنصرة والفخرة لأرض غير أرضهم وقوم ليسوا منهم، يا سبحان الله !! جهلوا المبدأ فأخطأوا فى النتائج، وأساءوا سمعاً فأساءوا فهما. اللهم إنى أعوذ بك أن يكون لى وطن غير الإسلام،اللهم ونبه قلوب إخوتى المؤمنين ليعلموا الوطن حقيقة الذى به السعادة، وبالمحافظة عليه نيل الفلاح.

تذكر أيها المسلم مذ كان الإسلام وطنك:

أنت أيها المسلم – وحقك – كنت أسعد الخلق طرا مذ كان الإسلام وطنك، كانت تنحنى لك الرؤوس التى عليها التيجان رهبة مذ كان الإسلام وطنك، لم يكن ذلك لخصوص الأمير من المسلمين،بل – والله – كان أيضاً لتاجر حقير فى بلاد غير إسلامية !.

كنت أيها المسلم إذا انتقلت إلى بلاد غير إسلامية، نبه على العامة والخاصة أن يمسكوا ألسنتهم، وأن يغضوا عنك أبصارهم، وأن يحتفلوا بك لتنشر عنهم الخير فى بلادك، لم يكن ذلك إلا لأن وطنك الإسلام، وأنك تمثل جمال الإسلام وكماله بالوجه الأكمل.

فكنت وأنت منفرد كجيش خميس، تهتز له رؤوس أهل التيجان. تذكر أيها المسلم هذا المجد الذى كنت فيه مذ كان وطنك الإسلام، أيام كان العالم أجمع إما أهل جزية أو أذلاء أهل موالاة. لم أقل هذا جهلا بسابق حالنا، ولا رجما بالغيب عن حقيقة أمرنا كان الصينى يلقى المراكشى فإذا قال : السلام عليكم، بش فى وجهه فرحا بسماع الكلمة الإسلامية، وضمه إلى صدره، وأسرع به إلى بيته، وفتح له خزائن المسلمين التى فى بيته، وقال : هذا مالى مباح لك خذ منه ما شئت، فيقول له أخوه المسلم بارك الله فيك أخى، عروض تجارتى خارج البلد وفيها كذا وكذا دينارا، فانصرف معى وتسلمها أمانة،واقض حاجتك منها إن شئت،ثم ينصرف إلى وطنه وقد ترك حاجته عند أخيه المسلم، مطمئنا قلبه على ماله،مسرورا بحسن عمله.

كانت كلمة : (السلام عليكم) توجب على سامعها بذل المال والنفس فى النصرة والتأييد، ما ذلك إلا لأن الوطن كان الإسلام.

حسبى ما بينت من البديهيات، ولا أخال أخى المسلم إذا اطلع على هذا إلا منشرح الصدر بكلامى هذا، مجاهدا نفسه على العمل به، قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ :"حب الوطن من الإيمان " يفهم من هذا الحديث مَنْ نورَ الله قلبه بفقه كلام رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾، أن المراد بحب الوطن الذى حبه من الإيمان : هو كل أرض يسكنها المسلمون،وكل مجتمع إسلامى فى كل بقاع الأرض، لأن الوطن الحقيقى هو الإسلام، الذى يبذل المسلم النفس والنفيس فى حفظه وعزته،ودفع السوء عنه.

بِرَبِّكُم وَطنِي الإِسلام أفديه ... بالنَّفْس والمالِ، والرَّحمنُ يعْلِيهِ
والمسلمونَ هُمُو نَفْسِي، وحبُّهُمو ... فرضٌ علىَّ ، بصدقِ القولِ أَرْوِيهِ
وكُلُّ منْ ناوَأ الإِسْلامَ غطْرَسَةً ... هو الْعَدوُّ ، بعوْنِ الله أرْمِيهِ
الدينُ موْطِنُ نَفْسِي أصْلُ رِفْعتِها ... منْ شرِّ كُلّ أُولِي الطُّغيانِ تحْمِيهِ
به اسْتَظَلَّتْ وبالنُّورِ الْمُبِينِ لقدْ ... رأتْ مَشاهِدَ تَقْدِيسٍ وتَزْيِيهِ
نَفْسِى قَلِيلٌ وَمَالى أَنْ أجُودَ بِه ... لله فِي الدِّين حقًّا لاَ بِتَمْوِيهِ

فإن كل مجتمع إسلامى لا يكون له العزة التى بشَّر الله بها المؤمنين،إلا إذا كان كل واحد من المسلمين لا يرى له وطناً حقيقيا إلا الإسلام، عنه يدافع، ولخيره يعمل، يعادى لأجله نفسه ووالديه وأحب الناس له، يدفع لحفظه ماله ونفائس ذخائره حتى تتحقق العزة لكل مسلم أين كان وكيف كان، ويعتقد أن ذل كل فرد من أفراد المسلمين – ولو فى المشرق الأقصى – هو ذل لكل مسلم ولو فى المغرب الأقصى – ومادام كل فرد عاملا للوطن العزيز الحقيقى ؛ فكل واحد من المسلمين فى عز ومنعة فى الدنيا، ونعيم مقيم فى الدار الآخرة.

التحرز ممن لم يدخل الإيمان فى قلوبهم :

قال الله تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[1] وقد أعمى الجهل والهوى قلوب المغرورين، فظنوا أن كل عضو من أعضاء الإنسان يجب أن يستقل بنفسه، حتى لو قطعت الرجل لا تتألم لها اليد، أو قطع العنق لا تتألم له الرجلان، جهلا بحقيقة الوطن، وعَمىً عن الصراط المستقيم.

يقول المسلم بمياه الهند : لا يهمنى إلا نفسى ووطنى،وأخوه المسلم بمراكش أو بمصر أو ببخارى يتألم من مرض ألم به فى صلب المجتمع الإسلامى، فلا يحس بمرضه لسكره بخمرة الغرور، لنومة قلبه بالجهالة، فما يشعر إلا وقد سرى المرض إليه فندم، ولات حين مندم.

الإسلام هو الوطن، وقد مَّثل رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ المسلمين بالجسد الواحد يتألم جميعه لألم أصبع من أصابعه، بل لألم أنملة من أصبعه.وإن أهل الغرور والجهلاء بالحقيقة يقودون جماعتهم والمشتركين معهم فى أرض واحدة، إلى هاوية الذل والخزى بما خيل لهم شيطانهم وسول لهم سوء قصدهم، فيفصلون أعضاء الجسد الواحد بعضها عن بعض، ليتمكن العدو من كل عضو على انفراده.

أيها المسلم : وطنك الإسلام، وهو عزك ومنبع خيرك وحصن حفظك، لا تجعل لك وطناً سواه يستخلفك الله فى الأرض كما استخلف الذين من قبلك، ويمكّن لك فى الأرض بالحق

(١) سورة آل عمران آية ١٠٣ .

كما مكن لأسلافك من قبل،حسبنا عمل رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ وعمل أصحابه من بعده، وعمل رسل الله صلوات الله عليهم أجمعين.

هذا سيدنا نوح عليه السلام : فارق أرضا ولد بها ودعا على أهلها فأغرقهم وهاجر إلى غيرها. وسيدنا إبراهيم عليه السلام : هاجر من أرض ولد بها، وعادى أقرب الناس لـــه، وخـــرج مهاجراً إلى الله. وهذا سيدنا إسماعيل عليه السلام : هجر أرضاً ولد بها. وهذا سيدنا يعقوب بـــن إسحاق عليهما السلام : هاجر مع أبنائه إلى مصر، و لم يكن وطناً لأجداده من قبل.

وهذا سيدنا موسى عليه السلام عادى من رَبَّاهُ، وأهلكه الله على يده،وأهلك أهل أرض تربى معهم عليها،وفارقها كارها لها، فرحاً بأرض هاجر إليها. وهذا المسيح عليه السلام : هاجرت به أمه وفارق أرضاً ولد فيها.

وكان كل نبى ورسول إنما وطنهم الحق، وحبيبهم الحق، ومقصدهم الحق.

وهذا سيدنا رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾، وأفضلهم على الإطلاق : عاداه قومه فهاجر من بلد الله وبلد خليل الله ودعا عليهم، فكانت عليهم سنين، ثم أقام بالمدينة هو وأصحابه ممن ولـــدوا بمكة، وتربوا بها – وهى حرم الله ومسكن أنبياء الله وبيت الوجهة العظمى للصلاة – فكانت المدينة لرسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ أروح لنفسه، وأحب إلى أصحابه.

وهكذا كل مؤمن بالله ومؤمن برسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾،يكون وطنه الإسلام، ودار عزه عز الإسلام – مهما كانت الأرض من جدب، أو فساد فى الهواء، فإنها تكون- بالنسبة لأنهـــا دار الإسلام- هى الوطن العزيز، الذى يدافع عنه بالمال والنفس، والوالد والولد،ومن ظن – لفســـاد فى مزاجه – أو توهم – لخلل فى وهمه – أو نافق – لمرض فى قلبه حبا لأعداء الله ورغبة فى مـــوالاتهم، وقد قال الله تعالى : ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ [1] ومـــن علامة النفاق أو ضعف الإيمان ونسيان يوم الحساب ؛ أن ترى المغرور يوهم جماعة من المسلمين فى أرض المسلمين أن يقطعوا العلاقة بينهم وبين إخوانهم المسلمين،ولا يتـــألموا لمصـــائبهم وآلامهـــم،

(١) سورة المائدة آية ٥٢.

ويتركوهم لأعدائهم – فهو أشر على المسلمين من عدوهم،أضر عليهم من الشيطان الرجيم، وعلى جماعة المسلمين أن يعاقبوا هذا بأشد العقوبة التى تكون انتقاماً منه، وأدباً لغيره.

الذين يقولون بألسنتهم : إنا مسلمون :

وقد بلى المسلمون فى هذا الزمان بأناس يقولون بألسنتهم : إنا مسلمون. وهم فى الحقيقة سموم قتالة لا تخفى إلا على ذوى البصائر العمية، وكيف لا ؟ وهم قوم أشربوا فى قلوبهم حب أعداء الإسلام والمسلمين، وتجردت قلوبهم من أنوار الإسلام فأظلم أفقها بالسخائم للإسلام والمسلمين، والمناوأة لله ولرسوله ﷺ وآله﴾ : ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١) قال الله تعالى : ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾(٣).

صفة هؤلاء القوم :

صفتهم أنهم يحبون العاجلة ويذرون الآخرة، ومن علامة حبهم للعاجلة أنهم يبذلون كل فضيلة ومكرمة لجلب النفع الخاص لأنفسهم، غير مبالين بالشر الذى ينتج عنه مهما كان – ولو عم كل مسلم – مادام الواحد منهم مغموراً بما يلائم حظه وهواه.

فذو الكلمة النافذ ة والقوة القاهرة : هو الحق عندهم مهما كان عمله من الظلم والجور والفساد،ومهما كانت عقيدته من الخزى والزور والبهتان. والبغيض عندهم : أهل الحق إذا لم يكن لهم سلطان قائم، فإنهم يقبحون عوائدهم – وهى الفضيلة الكاملة – وأخلاقهم – وهى الجميلة العادلة – وعقائدهم – وهى الحق المبين – ثم يموهون على جماعة المسلمين أنهم مسلمون، ليخرجوا

---

(١) سورة يوسف آية ٢١.
(٢) سورة فاطر أية ١٦-١٧ .
(٣) سورة المائدة آية ٥٤ – ٥٧ .

كل مجتمع إسلامى خاص من المجتمع الإسلامى العام، ويفرقون بين أعضاء الجسد الواحد، لأن حظهم أعماهم عن الشر الذى يحيق بالكل بسبب سعيهم، والضرر الذى يعم الكل بسوء قصدهم ،فتعسا لهم تعساً.

نعم، هم يقولون إنهم مسلمون، بألسنتهم، والعلماء يعلمون أنهم الداء العضال للجسد الإسلامى، لا يقوم كل عضو من أعضاء الجسد بالواجب عليه إلا بعد معافاته من هذا المرض. ولو أننا تتبعنا أسباب ضعف المسلمين، لظهر لنا جليا أن سبب ذلك كله تلك الجراثيم الخبيثة، ولو أن قائفاً [1] لأنساب البشر نظر إلى سيماهم، لنسب كل واحد منهم إلى قومه، بل وإلى أبيه الذى بذره فى رحم أمه.

لا يشك ذو بصر أن كل مسلم ذاق حلاوة الإيمان ولذة التقوى، وكان من أبوين مسلمين، لم يمتزج ماؤه فى رحم أمه بقاذورات أهل الشرك والأنجاس، يغار على العوائد الإسلامية غيرة تؤدى إلى غارة يبذل فيها النفس والمال، فضلا عن العقائد والعبادة والأخلاق.

ظهرت تلك الضلالات فى القرون الوسطى لما أن اعتنى بنو العباس بالموالى فامتزجت النطف فى الأرحام فحصل من الفساد فى المجتمع الإسلامى ما حصل : تفرقت الكلمة، وتشعبت الآراء، وكثرت المذاهب، وظهرت البدع ؛ فكان مالا يخفى من إنكار الفضائل البديهية ومعاداة المسلمين بعضهم لبعض، حتى صار المجتمع الإسلامى – وهو جسد واحد – له عدة قلوب، كل قلب يعمل على مضرة الآخر.

هذه الدولة الأموية وتلك الدولة العباسية، ثم قامت من بعدهم دول قادهم الغرور والحظ والرضا بالعاجلة، فخالفوا كتاب الله وسنة رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾،فكانت الدولة القوية تعين أعداء الإسلام لتستعين بهم على محو مجتمع إسلامى مستقل عنها.

وقد أكرم الله المسلمين برجال آل عثمان، أمدهم الله ففتحوا بلاد الروم، وقواهم فجمعوا أكثر أعضاء الجسد الإسلامى عليهم، إلا ما تناءى عنهم كالأندلس التى تذرف عيون كل

---

(١) (القائف) الذي يعرف الآثار و الجمع (القافة) يقال (قاف) أثره ومن باب قال إذا تبعه مثل قفا أثره .

مسلم بذكرها، وتذوب الأكباد عند استحضار ما كانت عليه وما آلت إليه،أسأل الله أن يأخذ ثأرنا من أعدائنا. أيد الله سلطان المسلمين بأنصاره من آل عثمان [1] وإن كنت أجد فى نفسى شيئا عليهم من حادث الأندلس ؛ لأنهم – أيد الله ملكهم – ناموا عن نصرة إخوتهم المؤمنين بالأندلس، حتى تمكن أعداء الله منهم، ولعل لهم عذراً، أسأل الله أن يغفر لى ولمن سبقنى بالإيمان من إخوتى المؤمنين.

واعلم أن حياتنا الطيبة – التى تكون لنا بها العزة من الله فى الدنيا،والسعادة فى الدار الآخرة – لا تكون لنا حقا إلا بأن نكون جميعا مع خليفة رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾، وأن نحقر كل لذة وشهوة وسيادة خاصة بذاتنا فى جانب خير المجتمع الإسلامى.ولأن يكون الرجل منا فقيرا ذليلا – مع عز المجتمع الإسلامى وقوته وتماسك أعضائه – خير من أن يكون ملكا مستقلا بجماعة من المسلمين يفرق بذلك مجتمعهم ويضعف قوتهم، كما يفعله أعداء الإسلام ممن يدعون الإسلام كذباً، ويدسون الدسائس ليفرقوا المجتمع الإسلامى فيقولون : يجب علينا ألا نلتفت إلى غير بلادنا، وألا نتألم لآلام المسلمين أين كانوا، ولا نساعدهم بأموالنا. أولئك هم الضالون المضلون الذين كفروا بالله من حيث لا يشعرون، قال ﴿ ﷺ وآله﴾ : "من لا يهمه هم المسلمين فليس منهم ".

(١) أملى الإمام المجدد أبو العزائم هذا الكتاب سنة ١٣٢٦ هـ أثناء قيام الدولة العثمانية .

الفصل الثانى

المسلمون جميعا أهل كل وطن إسلامى

أدلة ذلك من القرآن والسنة :

نعم، إن الوطن هو الإسلام، والمسلمون جميعاً هم أهل الوطن، لا، بل كل مسلم لكل مسلم هو الجار الجُنُب، ولو كان أحدهما فى مراكش والآخر فى الهند،بل هو الصاحب بالجنب، لا – وأستغفر الله – بل هو الأخ كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (١) وقال ﷺ وآله﴾ : " أحبَّ لأخِيكَ ما تُحبُّ لنفسك " وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾(٣).

وقال تعالى ذكره : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (٤).

---

(١) سورة الحجرات آية ١٠ .
(٢) سورة أل عمران آية ١٠٢ ـ ١٠٣ .
(٣) سورة النساء آية ١٧٤ ـ ١٧٥ .
(٤) سورة الحشر آية ٨ ـ ١٠ .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(١).

وقال الله تعالى : ﴿ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٢).

وقال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾٣.

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾(٤). وقال الله تعالى : ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾(٥). وقال الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ

(١) سورة الحجرات آية ٩ – ١٠ .
(٢) سورة الشوري آية ٣٦ – ٤٢ .
(٣) سورة الجاثية آية ١٨ – ٢٣ .
(٤) سورة محمد آية ١٤ .
(٥) سورة محمد آية ٢٩ – ٣٠ .

الْحَرِيقِ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ (١).

وقال ﴿ ﷺ وآله﴾: " ترى المؤمنين فى تراحُمِهِمْ وتَوادِّهم كمثِل الجسد الواحد إذا اشتكى عضوٌ تداعى لَهُ سائِرُ الجسد بالسَّهَرِ والحمى ".

وقال ﴿ ﷺ وآله﴾ : " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بَعْضُهُ بعضاً " وقال ﴿ ﷺ وآله﴾: " انصر أخاك ظالِماً أَوْ مظلوماً فقال رَجُلٌ : يا رسول الله أنره مظلوماً فكيف أنصره ظالماً؟ قال : تمنعه من الظلم، فذلك نصرُك إياهُ " وقال ﴿ ﷺ وآله﴾ : "الْمُسْلِمُ أَخُو الْمسلمِ لاَ يظْلِمُهُ وَلاَ يَخْذُلُهُ وَلاَ يَحْقِرُه، التَّقْوَى هَا هُنَا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - " وروينا عنه ﴿ ﷺ وآله﴾: " كُلُّ واحدٍ من المسلمين على ثغرٍ من ثُغُورِ الإسلام، فإن ترك المسلمون فاشدد لئلا يُؤْتى الإسلام من قِبَلك ". ومثل المسلم من المسلمين كمثل الرأس من الجسد يتألم لما يؤلم الرأس، ويتألم الرأس لما يؤلم الجسد.

المجتهد والمقلد والمدعى :

هذه الآيات الشريفة والأحاديث النبوية حقائق جلية مشاهدة للنفس عيانا لا تحجب عن النفوس التى تزكت، وهذه الحقائق المشاهدة تجعل كل مسلم على يقين أن الوطن هو الإسلام، لأن المسلم إما أن يكون مجتهداً فحصل له الفلاح وهو الفوز بمشاهدة أنوار القرآن، ويكون من الراسخين فى العلم كالعلماء الربانيين والروحانيين الذين سبحت أرواحهم فى الملأ الأعلى. أو يكون مقلداً للعلماء الربانيين، مصدقا لهم فيما يكشفون له من الحقائق بالمثل والبيان، فإن خير الصادق أكبر طريق للعلم، والتصديق سلم لليقين، لأن التصديق تنجلى به الحقائق للنفس ، ومتى كمل الإيمان كان الإسلام أعز عزيز على المسلم، وأنفس نفيس لديه، ترخص النفس والمال فى سبيل إعلائه، ويبذل كل نفيس لتجديد سنته ومعالمه.

وأما الذين يدعون الإسلام فيقولون بأفواههم ولا تصدقهم قلوبهم، فإنهم يجهلون قدر الخير الحقيقى والسعادة الحقيقية، ويكون الخير عندهم حظوظاً جاهلية من كرامة ويسار، ولذة فى

(١) سورة البروج آية ١٠ – ١٦ .

المال والجاه والمناصب والشهرة، والتسلط بالقوة القاهرة، واستعباد الغير بالظلم والغطرسة، وهؤلاء يرون أن روح الإسلام تمنع من هذا كله، فيقصدون الإنكار على المتجملين بالكمالات الإسلامية بالتمويه والمغالطة، حتى لا يمنعهم من غرضهم الجاهلى القبيح شئ، وهؤلاء ليسوا أعضاء مكونة للمجتمع الإسلامى، قال الله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (١).

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾(٢).

وقال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٣).

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ (٤).

وقال ﴿ ﷺ وآله﴾ : "تَعِسَ عبدُ الدرهم والدينار، تعسَ وانتكس، وإذا شيكَ فلا انتقش" وقال ﴿ ﷺ وآله﴾ :" المرءُ على دين خليلِه فلينظر أحدكم من يخالل ".

---

(١) سورة أل عمران آية ٧ .
(٢) سورة فصلت آية ٤٠-٤٢ .
(٣) سورة المائدة آية ٤١ .
(٤) سورة الإنسان آية ٢٣ – ٢٩ .

طوائف أخرى من أهل الجهالة:

وهناك طائفة أخرى من أهل الجهالة لم يرد الله أن يهديهم، حرموا نور الفقه والفهم، وابتلوا بالعناد – مع سوء فهمهم – فإذا دعوا إلى الحق تخيلوه – لسوء فهمهم – على غير ما هو عليه – تنزه وتعالى – ثم يظهر لهم فساد ما تخيلوه فيظنون أن كل عالم ربانى : مغرور بعلمه أو مخادع مموه طالب بعلمه هذا رئاسة، وكل ذلك مما هم عليه من ظلمة قلوبهم ونجاسة نفوسهم، قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾[1].

ومن هؤلاء أهل البدع المضلة الذين يشنعون على العلماء الربانيين والأئمة المرشدين، فتراهم يمدحون أقبح الخصال وأرذل الرذائل مما تنكره العقول السليمة الكاملة وتنهى عنه الشريعة الإسلامية، ويذمون أفضل الفضائل ويشنعون على التحمل بها ويجعلون ذلك تقهقراً.

وهناك أنواع كثيرة من أهل النفوس المنحطة قد بينا أكثرها فى كتاب : (معارج المقربين)[2] وكتاب : (النور المبين لعلوم اليقين ونيل السعادتين)[3].

إذا كوشف المسلم بأن الإسلام هو الوطن، وتحقق أن مجده وعزه بإعلاء كلمة الإسلام، وأيقن أن الله تعالى أمرنا بأن نعد لأعداء الإسلام العدة من القوة ومن رباط الخيل بقدر وسعنا، قال تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[4]. وذلك فى كل عصر بحسبه، فيعد المسلمون من العدة ما يفوق المعدات التى أعدها أعداء الله وأعداؤنا، من عَدد – بفتح العين – وعُدد – بضم العين – والعدد بحرية وبرية وجوية، حتى تكون الرهبة فى قلوب أعدائنا قاهرة لهم، مانعة لهم من مهاجمتنا، وبذلك يكون المسلم عزيزاً أين كان وكيف كان، وعدو الإسلام ذليلا أين كان وكيف كان، ولا يكون كل ذلك إلا باليقين الحق أن الوطن هو الإسلام.

---

(١) سورة النور آية ٤٠ .
(٢) تطلب مؤلفات الإمام المجدد أبي العزائم رضى الله عنه من (دار المدينة المنورة)١١٤ شارع مجلس الشعب – القاهرة
(٣) السابق
(٤) سورة الأنفال آية ٦٠ .

من جهل حقيقة الوطن حرم الخيرات :

نعم، إن من جهل حقيقة الوطن فحكم أن الوطن هو الأرض التى يسكنها جهل حقيقة الخيرات، وإن أرشد إليها لم يفهمها، وبذل ما فى وسعه لسلامة بدنه ولجمع الأموال والتمتع باللذات، وزيف كل ما من شأنه أن يمنعه عن عمل هواه، ومال أن يكون مكرماً معظماً، والسعادة العظمى عنده أن تتوفر كل تلك الآمال، وهذه هى السعادة المنشودة لمن قلدوا الإفرنج ممن شاكلوهم فى النفس والأخلاق، وعدم توفر تلك الرذائل عندهم هو الشقاء كالمرض فى الأبدان، وقلة المال، وعدم التمتع باللذات، وأن لا يكون منفذاً لهواه.

وهؤلاء القوم لذتهم التمتع باللذة من المأكول والمشروب والمنكوح، وقتل الوقت بالهزل واللعب من كل وجه ومن كل نحو، وهكذا ينحط الإنسان حتى تكون قيمته أقل من البهيم الأعجم لجهله بالخيرات الحقيقية والسعادة الأبدية، كل ذلك لجهله بالوطن الحقيقى، وكيف لا؟ وقد بلغ المسلم – مذ كان الإسلام وطنه – مبلغاً من العزة بالله تعالى حتى صار إذا سأل الله لباه واستجاب له، وإذا دعاه الله إلى خير سارع لمراد الله، فجعل الله الأرض ميراثاً للمسلمين، فلم يبق بحر ولا بر إلا وللمسلمين فيه سلطان، وكل ملوك الأرض أذلاء لهم حين كانت ملائكة السماء تطيعهم لأنهم أطاعوا الله، ولولا أن هذا المختصر لا يسع ذكر ما أكرم الله به سلفنا الصالح لشرحت نبذاً منها، وسأشرح ذلك فى رسالة أخرى إن شاء الله تعالى[1].

ولما أن جهل المسلمون الوطن الحقيقى وحقوقه، وغرهم الحظ والهوى، وخيل لهم الشيطان أن وطن كل جماعة الأرض التى يسكنونها، ودعتهم الجهالة والضلالة إلى أن كل فريق يسعى فى إذلال جاره، ليكون له السلطان والقوة، ويجهل أنه قطع عضواً قويا من أعضائه التى يدفع بها ألد عدو من أخصامه الذين يتربصون به الدوائر، حتى بلغت الجهالة بأهل الحظوظ الذين أعماهم الهوى عن حقيقة الخير والسعادة إلى أن استعانوا بأعداء الإسلام على بتر أعضائهم العاملة، وإضعاف قوتهم الدافعة، وإذلال إخوتهم المؤمنين، فأنتهز أعداء الإسلام تلك الفرص، وبذلوا النفس والنفيس لخديعة أدعياء الإسلام الذين أضلهم الله على علم، وسعوا ليهلكوا أنفسهم وهم يظنون أنهم ساعون للسعادة، والحقيقة أنهم هاوون فى مهاوى الهلاك والخزى.

---

(١) يشير الإمام إلى كتابه : " وسائل نيل المجد الإسلامي " وهو الكتاب المكمل للكتب الثلاثة السابقة : " الإسلام دين – ونسب – ووطن" .

نتائج الجهل بالوطن :

نعم، أنتجت تلل الضلالات والجهالات ما أصاب الإسلام والمسلمين، بتغير أرض طهرها الصحابة والسلف الصالح من الكفر والظلم بدمائهم الزكية الطاهرة ، وأنفسهم الملكية المترهة، وجعلوها أرضاً مطهرة بالنور والحق مباركة بالعدل، مجملة بالمساجد والعبادات والعلم، ومشرقة بأنوار الإسلام، يفرح الملائكة بما يصعد إليهم من خالص الأعمال وجميل الأحوال ، ويضئ الملأ الأعلى بما يصعد إليه من صور أعمالهم، وأنوار تسبيحهم وتهليلهم وتقديسهم لذات الله.

صارت تلك الأرض – بعد نورها – مظلمة بالكفر بالله وعبادة غيره، والعمل بغير كتابه، جدبة من مساجد الله، خربة من العمل لله، تتصعد منها ظلمة القبائح والرذائل فتستجير إلى الله مما حل بها، وتشكو إليه سبحانه سوء فعل من صيرها قرارة كفر وبؤرة فساد وضلالة، وتشكو إلى أشلاء مباركة ضمتها كانت تطيبها بخير الأعمال، وأرواح مطهرة قضت على تلك الأرض أوقاتاً فى صفاء مع الله وعمل لوجهه الكريم، ولا تزال أنة حزنها وضجة بكائها تصغى إليها القلوب الموقنة، وتنفطر لها النفوس الطاهرة.

وها هى الأندلس وجزء جزيرة البلقان وشمال آسيا وجنوبها وأكثر سواحل أفريقيا أصبحت مغيرة الأرجاء لأن أرضها تغيرت وتغير من عليها، وكيف لا ؟ وقد قاد الطمع من فيها حتى طمع كل أهل قطر أو مجتمع أن يستقل بنفسه وينفصل من المجتمع الإسلامى، وعملوا بهذا الغرور أعمالا جاهلية، فكان ذلك موجباً لسخط الله عليهم ومقته سبحانه لهم،فسلط عليهم من مَنَّوْهُمْ بنيل الاستقلال وأغروهم على معاداة إخوتهم والخروج على إمامهم، حتى فرقوا الجماعة وأضعفوا كل فريق،ثم اغتالوهم وغيروا معالم الحق ومحوا أنوار الإسلام، وجعلوا أعزة القوم أذلة، وذلك جزاء من اتخذ عدوه صديقاً.

ومن يجعل الضر غَامَ بَازاً لِصَيْده تَصَيَّدَهُ الضر غَامْ فيما تَصَيَّدَا

كل ذلك للجهل بالوطن الحقيقى الذى يجب أن يبذل المسلم لحفظه النفس والنفيس، وللذود عنه كل غال ورخيص، وليس بمسلم من سعى ليعز نفسه، أو ليؤسس له ملكا أو مجداً بعدواة أخ مسلم أو جماعة المسلمين فاستعان بأعداء الدين، لأنه بعمله هذا يجر شرا يُذهِبُ بشراره نوَر الإسلام، وضررِه سلطان المسلمين، نعوذ بالله.

فكأنه بعمله هذا جر لنفسه نفع ساعة وشقاء الأبد، وشرا شريراً على كل فرد من أفراد المسلمين، لأنه أزال قوة سلطانهم، ومحا نور دينهم، ومكن أعداءهم من ملك المسلمين، و كأنهم المعنيون بقوله تعالى : ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾(١) وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(٢) وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ۞ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ۞ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ۞ إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ۞ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾(٣).

أين هذا العز الذى جعله الله للمؤمنين، حين كان الإسلام وطنهم، والقرآن إمامهم، وسنة رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ منهجهم، وهدى السلف الصالح قدوتهم؟ أين مسلموا الأندلس وجزائر البحر الأبيض المتوسط ومقدونيا وبلونيا وشمال آسيا ؟! وأين قوة سلطان الهند وأنوار مراكش والجزائر وتونس وطرابلس ؟!وأين معاهد العلم التى كانت مشرقة بأنوار القرآن والسنة ؟! وأين تلك المساجد التى كان يذكر الله فيها ؟! ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(٤).

---

(١) سورة التوبة آية ٥٥-٥٧.
(٢) سورة المائدة آية ٤١ .
(٣) سورة محمد آية ٣٤ – ٣٨ .
(٤) سورة النور آية ٣٦ – ٣٨ .

محا كل تلك الأنوار بعض أفراد غرهم الحياة الدنيا وغرهم بالله الغرور. أنا لا أقول ذلك قانطاً من روح الله – أعوذ بالله أن أكون ممن يقنط – لكن أذكر إخوانى المؤمنين بطرق الخير ومراقى الفلاح، ومادام القرآن بين ظهرانينا، وأثر السلف الصالح معلوما لنا، فما علينا إلا أن ننهج منهجهم ونتجمل بهديهم، والله ولى المؤمنين يخرجهم من الظلمات إلى النور، ويجعل لنا سلطاناً نصيراً.

أسباب ما نحن فيه :

انقسام الأندلس، واستقلال كل أمير طاغ بفئة ممن انقادوا له، وخروجه على إخوته المؤمنين، واستعانة كل أمير بمن جاوره من الإفرنج، حتى آل الأمر إلى محو الأنوار الإسلامية التى أحيت أوربا من قبور الجهالة، وصارت روضة الأندلس – الزاهية الزاهرة – كهوة نار لكل مسلم أحرقت كل من فيها من المسلمين، وصارت – بعد أن كانت أرض التوحيد والعدل والفضل والحكمة والعلوم والمجتمعات الفاضلة – قرارة ظلم وعدوان وفجور وشرك وطغيان. طمع فيها أفراد فى الإمارة أو الملك، ورغبوا فى العزة بغير منهج الشرع، فجر ذلك عليهم الذل والهوان، وغضب الكبير المتعال، فمحاهم عن آخرهم، ورفع من بينهم نوره المقدس وصراطه المستقيم ودينه القويم، فأصبحوا بعد الإيمان به كفاراً يعبدون إنساناً ولدته امرأة !! بعد التوحيد الخالص من شوائب الشرك. ولو أنهم أجمعوا على حماية وطنهم (الإسلام) والذود عنه، ومال كل فرد منهم لإعزازه وعلوه وإعلاء سنته ومعالمه، لأعزهم الله وأذل أعداءهم، ومكن لهم فى الأرض، كما مكن لمن جعلوا وطنهم الإسلام من سلفنا الصالح.

إننى عند تلك الذكرى يذوب قلبى أسى، ويتساقط ذوبه من عينى، وأتمنى أن لو كان بين الأندلس رجال حكماء علماء حلماء، أيقظوا المسلمين من رقدة جهالتهم ونومة غفلتهم، ونبهوهم إلى الشر المستطير الذى ينتجه سوء عمل من طلبوا العزة لأنفسهم وتفريق كلمة المسلمين، حتى كان يقوم المجتمع الإسلامى بالأندلس، فيجعلون الأمر شورى بينهم، ويجعلون لهم إماماً قائماً يعتقد أن الإسلام هو الوطن العزيز.

أسأل الله سبحانه أن يجدد مجد الإسلام، وينظر إلى المسلمين بعين عنايته، ويجمع شتاتهم، ويلم شعثهم، إنه مجيب الدعاء.

لا أبعد بك أيها المخلص – أيدنى الله وإياك بعنايته، وأمدنى وإياك وإخـــوتى المـــؤمنين بفضله العظيم – ها هى مراكش قام أميرها فقلد الإفرنج وحبس أخاه طمعاً فى الإمارة، واســـتعان بأمة فرنسا فأمدته بالمال والسلاح، فتفرقت الكلمة، فبذل ما فى وسعه حتى سفك دمـــاء رعايـــاه، وأضعف قوته، وكيف لا وقد بتر أطرافه ومزق أعضاءه ؟ فخرج عليه أخوه فى مجتمـــع، فتقابـــل المسلمون بالمسلمين حتى صارت الدماء أنهاراً ، وضعفت القوة، وضاعت الحرمة، وآل الأمر بتمكن العدو منهم، وإطفاء تلك الأنوار الإسلامية، ومحو العزة الإيمانية.

وهكذا قام والى الجزائر وتونس، فطمع كل واحد منهما أن يكـــون ملكـــاً مســـتقلا، واستعان بمن يسرهم ضعف قوة المسلمين ومحو الإسلام، وحصل ما تعلمه – أيها الأخ الصالح البار – من محو سلطان المسلمين.

وقامت فئة العرابية [1] بمصر ورجال المهدية بالسودان، طمعاً فى تفرقة كلمة المســـلمين وإضعاف سلطانهم، فكان ما تعلمه وتراه.

وبطون التاريخ الناطقة بالحق المبينة للحقيقة شاهد عدل، ولسان صدق يعرفك يا أخى كيف حجبت تلك الشمس المشرقة على كل الآفاق الأرضية، وكيف أصبح أهلـــها يتيهـــون فى ظلمات لا يهتدون ؟ يرون أن أعداءهم على الحق وعلى النمط الأوسط، وينتظرون العزة بالســـير على منهجهم. والعز الحقيقى لا يكون للمسلمين إلا بالعمل بشرائع الإسلام، والسير على نهجـــه القويم، ومن لم يكن مع الله فكيف يكون الله معه ؟ أيدك الله بروح منه، وأمدك بما فيه ســـعادتك وتجدد مجد الإسلام.

لم يلم هذا الداء بالمجتمع فى هذا العصر الحاضر، بل قد ألم فى عصر الشباب، لولا أن الله كان مع القائمين بالدعوة إذ كانت لهم معذرة شرعية تدعوهم إلى الخروج على القائمين بالأمر.

فتح باب تلك الفتن منذ سيدنا عثمان بن عفان رضى الله تبارك وتعالى عنـــه، وشـــرار الفتنة كان ينبجس من خلاله نور العمل لله تعالى، لأن القائمين بالفتنة قاموا بها معتقدين أنهم عمال لله وأنصار للحق، بقدر ما وصلت إليه فهومهم، وبلغته مداركهم، وكان إذ ذاك قد أزال الله ملك

(١) هذا هو رأي الإمام أبي العزائم نقلناه للأمانة العلمية .

الرومان وملك فارس عن آسيا وأفريقيا. ومع تطاير شرر تلك الفتنة لم يختلج فى خلد رجال الـــروم ولا رجال فار س، أن ينتهزوا فرصة تفريق الجماعة لأن العزة الإلهية التى جعلها الله للمسلمين ملأت قلوب الروم وغيرهم – من الأمم التى فتحها الصحابة رضوان الله عنهم – رهبة من الله ورســـوله ومن المؤمنين.

ثم أسعر نار الفتنة – بعد سيدنا عثمان رضى الله عنه – قوم تغالوا فى دين الله وخرجوا على طاعة الإمام الأعظم – من الخوارج – وآخرون من أهل الحق بلغ بهم اجتـــهادهم إلى طلـــب إقامة الحد على من قتلوا سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه، فكان ما كان مما لا يخفـــى علـــى مطلع.

ومع ذلك كله كانت رهبة الإسلام وعزة المسلمين تتصدع لها قلـــوب ملـــوك أوربـــا وتقشعر لها جلود ملوك الهند والصين وغيرهما، و لم يتوهم ملك من ملوك الأرض – مما أراهـــم الله من عزة المسلمين، وآيات الله التى أظهرها على أيدى أصحاب رســـول الله ﴿ ﷺ وآلـــه﴾ – أن يتنفس نفساً يخالف ما يريده رجال المسلمين.

ثم انمحت تلك الفتنة، وأخذ الإسلام فى دوره الأول ؛ فقام المسلمون يجاهدون فى سبيل الله، حتى كانت الجيوش الإسلامية فى عهد الصحابة تخوض عباب البحار العظيمة، وتمخر الســـفن الحربية الإسلامية فى مياه البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر والمحيط الهندى، ففتحوا أكثر الجزائر المنتشرة بتلك البحار، وانحدروا كالسيل المنهمر إلى مياه القسطنطينية، وهاجموها حتى كادت تفتح أبوابها.

فمات أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان، الخليفة الخامس بعد سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه، وكان قائد الجيش يزيد ابنه – غفر الله لنا وله – فرجع مسرعاً إلى عاصمة الخلافة، لأنه كان ولى العهد، فتولى الخلافة بعد سيدنا معاوية رضى الله عنه، فتجددت الفتن وقامت كالليل المظلم، ولكن الله سبحانه كان مع المسلمين ولهم، وكان المخطئ منهم له أجر والمصيب منهم لـــه أجران، وكان ما كان مما لا يخفى.

ثم أشرقت أنوار الإسلام بعد، وقام المسلمون قومة رجل واحد، فاتسعت الفتوحات حتى فتحوا معظم جنوب أوربا وجميع سواحل أفريقيا، وجرت تلك السفن الحربية فى عباب المحيط الهندى، فأشرقت أنوار الإسلام على بلاد الهند والصين والجزر المنتشرة بالمحيط الهندى، وأخذ الإسلام فى دوره الأول ورجاله فى إقبالهم على الجناب المقدس، حتى تغير بنو أمية وتركوا المنهج القويم والصراط المستقيم، فوكلهم الله إلى أنفسهم، فقام لهب الفتن المدهمة، سنة الله التى قد خلت من قبل، ولن تجد لسنة الله تبديلا.

ودامت تلك الفتن حتى انتقل الملك من بنى مروان إلى بنى العباس، قال الله تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(١).

وهكذا سنة الله فى خلقه، يعُزُّ بالحق من تمسك بالحق، ويذل الله بالباطل من سلك غير سبيل المؤمنين، قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾(٢).

قام بنو العباس – وقد نظر الله إليهم – فاهتموا برفعة شأن المسلمين بالعلم والصناعات والفنون والمعدات، ففتحت كنوز القرآن، وسطعت أنوار السنة على الألباب، وجالت الأفكار فى أسرار الكائنات، كما أمر الله تعالى وأمر رسوله ﴿ ﷺ وآله﴾، فتح الله خزائن فضله وأبواب جوده وبره، وقام العلماء لخدمة العلم (٣) والفنون. .

---

(١) سورة آل عمران آية ٢٦ .
(٢) سورة النساء آية ١١٥ .
(٣) لقد كرم الله العلم فجعله منبرا للهداية ، وسندا للعقيدة فى قلوب المسلمين ، فكانت أول آيات القرآن تدعو إليه ، وبسط فيه الكثير من حقائقه ، واستنهض عقول المسلمين لتعمل وتبحث وتفكر لتثمر وتنتج .
ولقد كانت العلوم ثمرة جهود شعوب كثيرة متباينة الأجناس واللغات ، ولكن الإسلام صاغها فى وحدة روحية أساسها : الإسلام وطن .
وهكذا يتناول الإمام أبو العزائم فى الباب الثانى العلوم ، لتبين لنا أن العلم وطنه الإسلام ، لا النعرات الجنسية والقبلية ، وأن علماء المسلمين جميعاً ـ مهما اختلفت ألوانهم وألسنتهم ـ هم أهل كل وطن إسلامى ، وبذلك قام علماء المسلمين يوزعون العلم هنا وهناك حتى دهش العالم ، وأقر بفضلهم وحضارتهم خصومهم الألداء.

البابُ الثانى

فى العلوم ونيل الإنسان كماله وسعادته

الفصل الأول

العلوم

تعريف العلوم إجمالا :

وهنا يجدر بى أن أبين العلوم التى استنبطها العلماء من القرآن المجيد ومن سنة سيد المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

وقبل أن أتكلم على أنواع العلوم المستفادة من القرآن أعرف العلوم إجمالا، وإن كان سبق لى فى كتاب : (معارج المقربين) بيان مجمل عن العلم والإيمان شرحت فيه حقيقة العلم والإيمان، إلا أنه كان فى موضوع تكميل المريد السالك لطريق الآخرة، فكان الكلام فيه على سياق مقتضى الحال.

وهنا أبين الموضوع بياناً مستوفيا، لأن القرآن الشريف أحاط بأنواع جميع العلوم بأقسامها نظرية كانت أو عملية، فقد يندمج نوع من العلم بأكمله فى آية واحدة، فأجمل علم تدبير النفس والمنزل والمجتمع بقوله تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي

= عرف المستعمرون هذا وأكثر من هذا فعملوا جهدهم ليحجبوا نور هذه العلوم عن البصائر والأبصار ، فأحيوا لنا وفى أوساطنا الحضارة الأشورية ، والحضارة البابلية ، والحضارة الفينيقية ، والحضارة الفرعونية ، والحضارة الهندية ، ثم أخذوا المسلمين وجندهم ليشيدوا بهذه الحضارات البالية ، ويقيموا لذكراها الاحتفالات ، ويذكروا أمجادها ورجالها ، وكأن الإسلام خوى من الرجال ، وانعدمت فيه البطولات !!!.
لم يكتف الاستعمار الغادر من إثارة النعرات والعصبيات الجاهلية فى عالمنا الإسلامى ، حيث أثار القومية الطورانية فى تركيا ، والقومية الفارسية فى إيران ، والقومية البربرية فى المغرب ، والقومية الباكستانية فىالباكستان ، والقومية الجارية فى أندونسيا ...
وكل هذه النعرات رعاها الاستعمار ليهدم بها بنيان الإسلام ويمزق شمل المسلمين .

الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾[1]

فجمعت تلك الآية القصيرة الإخلاص للجناب المقدس، والبر والصلة، وحسن المعاشرة للزوجة والأولاد والوالدين، والإحسان إلى الجيران، واللطف والرحمة والإحسان لعامة الخلق. وكل جملة منها تحتاج إلى حمل بعير من الكتب لشرح تلك العلوم وبيان جزئياتها، وهكذا ما من علم من العلوم إلا وهو مستنبط من القرآن أو مأخوذ بصريح العبارة منه، وقد أشرت إلى أن جميع العلوم ضرورية للمسلم بل مفروضة عليه، لأن ما فرضه الله تعالى عليه من العقيدة والعبادة والأخلاق لا يكمل حقيقة إلا بتعلم جميع العلوم،قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : "طلبُ العلمِ فريضةٌ على كلّ مسلمٍ ".

العلوم :

العلوم من حيث هى كمال نفسى منقوش فى القوة العاقلة يكون به صاحبه عالماً، وغايتها التميز عن المشاركات فى النوع والجنس بالسعادة الأبدية. ولا شبهة أن المسلم من حيث هو مسلم فى حاجة شديدة إلى طلب المراتب الموجبة للكمال ليسعد بالفوز العظيم والرضوان الأكبر. وتلك العلوم وإن كان للإنسان بها عناية قبل الإسلام، فإن بعض أنواعها اعتنى به بعض أفراد من الإنسان بطريق الكسب، لكنها فى جملتها بقيت ناقصة غير مستوفاة، حتى أنزل الله الكتاب العزيز، وفرض على كل مسلم النظر فى ملكوت السموات والأرض، والبحث فيما حوله والعمل للدنيا والآخرة ؛ فصار العلم عاما لكل مسلم، وموردا عذباً ومنهلا سهلا.

الطريق إلى استفادة العلوم :

١ – الوحى بمراتبه.

٢ – الإلهام.

٣ – الفيض المترل فى النفوس القدسية.

٤ – التجربة المستفادة بالوقائع.

٥ – الأقيسة.

---

(١) سورة النساء آية ٣٦.

والعلم ضرورى ومكتسب وقياسى. والقياسى : ما خيلته التصورات فى الأقوال وهى مواد النتائج التى هى الغايات، ولذلك جعل إما تصوراً وهو حصول الصورة فى الذهن، أو تصديقاً وهو الحكم، أو العلم بالحكم به على تلك الصورة بإيقاع أو انتزاع.

ومواد الأول أقسام : (١)الألفاظ (٢) والدلالات (٣) الكليات الخمس (٤) الأقوال الشارحة بقسمى الحد والرسم.

ومواد الثانى المنقسمة إلى : (١) حمل (٢) وشرط (٣) ومحمول (٤) ومعدول (٥) وغيره (٦) وموجهات (٧) وتعاكس (٨) وشروط (٩) ونتائج، وهى إما يقينية أو غيرها من التسعة، والمتكفل بهذا هو المنطق، وهل هو من مجموع الحكمة أو أحد جزءيها أو آلة لها ؟ خلاف.

بيان آخر : أن يقال : إن العلم إما مقصود لذاته، وهو تكميل النفس فى قوتها العلمية، أى : النظرية الاعتقادية، والعملية وهو غاية الأول، أو لغيره، وهذا هو علم الحكمة. ثم هذا إما أن يكون موضوعه ليس ذا مادة وهذا هو الإلهى، أو ذا مادة وهو الطبيعى، أو ما من شأنه أن يكون ذا مادة وإن لم يكن وهو الرياضى، والثلاثة علمية، أو يكون البحث فيها عن تدبير النفس من حيث الكمالات وهو تهذيب الشخص، أو من حيث حصر الأقوات التى بها حفظ المهج وهو تدبير المترل مع نحو الزوجة والولد ، أو من حيث حفظ المدينة الإسلامية الفاضلة التى بها النظام وهو الحكمة العملية، علم السياسة والأخلاق.

والأول أعم مطلقاً، والثانى أخص منه وأعم من الثالث لاختصاصه بالملوك إن تعلق بالظاهر، وبالقطب الجامع إن تعلق بالباطن، وبالأنبياء إن تعلق بهما، وكلها عملية أو مقصودة لغيرها، ثم المقصود لغيره أيضاً إما موصلا إلى المعانى وتكون الألفاظ فيه عرضية، دعت ضرورة الإفادة والاستفادة إليها وهو علم المنطق، أو بواسطة الألفاظ ذاتاً أو تكون الألفاظ فيه ذاتية وهى العلوم الأدبية. ثم الرياضى إن نظر فى موضوع يمكن تلاقى أجزائه على حد مشترك فالهندسة، وإلا فالهيئة. وكلّ إن كان قارَّ الذات منفصل الأجزاء فالعدد، فإن اتصل فالزمان،وإلا بأن لم يتصف بالوصفين فالنغمات.

وقد ألمعنا إلى جمل من هذا فى كتاب : (معارج المقربين)، ولما كان كلام الله تقدست ذاته هو مصدر كل خير للدين والدنيا والآخرة وبه سعادة كل حى، فهو النور الذى تبلغ به النفس أرقى كمالاتها وغاية سعادتها منفردة ومع غيرها، أنزله الله تعالى تبياناً لكل شئ، جامعاً لما لا يمكن للعقول أن تدركه وإن كملت، من معانى كمالاته سبحانه وتعالى وعجائب قدرته وغرائب حكمته، وما يحبه سبحانه من عباده من العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملات، مبيناً للنفوس مالا يمكن أن تشرف عليه ولو بلغت المترلة القصوى من التزكية، ومن الرياضات، مما يشرح أسرار معانى أسمائه تعالى وصفاته، وحكم أحكامه، وسر مراده سبحانه فى إيجاد العوالم الروحانية والجسمانية، وما خص به النوع الإنسانى من الكمال الروحانى، وما أعده لمن هداهم وأعانهم من أنواع الملاذ الروحانية والجسمانية والنعيم الأبدى، وما أعده سبحانه لأهل الجهالة والضلالات والجحود والطغيان، من أليم سخطه، وعذاب غضبه، وسعير عقابه، ونار العذاب.

كل تلك المعانى لا يمكن لكل نفس وإن زكت أن تشرف عليه إلا بعد التصديق بالقرآن، وتلقيه بالتسليم.

بين القرآن كل علم ضرورى للإنسان وكمالى له، ولا عجب إذ ظهرت نتائج القرآن فى المجتمع الإنسانى بأجمعه ؛ فإن أسرار الكون لم تفتح كنوزها إلا بعد القرآن وانتشار أنواره، وما من علم من العلوم إلا وهو من القرآن أخذ ، ولأجل القرآن تعلمه العلماء، وبالقرآن سارع إلى تدوينه الحكماء. ومعلوم أن للقرآن ظاهراً، وباطناً، وَحَدّاً، ومطلعاً، ولكل سر من هذه الأسرار علوم تكشف لمن وفقهم الله تعالى.

ولما كان سر باطن القرآن ونور حَدِّه وكمال مطلعه لا يحيط بجميعها إلا أفراد اصطفاهم الله تعالى فورثهم علوم رسوله ﴿ ﷺ وآله﴾ وهم الراسخون فى العلم الذين آمنوا بالقرآن كله، سر قوله تعالى : ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[1] وقوله ﴿ ﷺ وآله﴾: ﴿ مَن عمِلَ بِما عَلِمَ وَرَّثَه الله عِلَم ما لَمْ يَعْلَمُ ﴾[2].

(١) سورة آل عمران آية ٧ .
(٢) رواه ابن ماجة و المنذري .

وهذا بديهى،لأن ظاهر القرآن يفمهم بنور العقل، وباطنه يفهم بنور الإيمان، وَحَدُّه يفهم بالنفس الملكية، ومطلعه يفهم بنور النفس القدسية، وهو الفقه عن مشاهدة اليقين، أو عين اليقين، أو حق اليقين.

ولما كانت تلك الأسرار القرآنية العلية من الفضل العظيم الإلهى، والفيض الأقدس الربانى، كان حصرها يعسر،وبيانها لغير أهل مقامات اليقين لا يمكن، وقد حصر بعض من شهد الملكوت بعيون الإيمان العلوم التى تستفاد من مراتب الوجود ونسبها، وما ظهر فى كل مرتبة من الآيات والأسرار والخواص المفاضة على المرتبة التى هى دونها، وكان حصرها على قدر مترلته، فكان ما شهده ثمانية وأربعين ألف علم، ولا يزال فى مزيد إذا ووجه بالعزة، ثم أشرف بروحه الكاملة على الجبروت وشهد غوامض أسرار تلك العلوم التى لا تحصى ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾[1] . فسبحان من لا يعلم قدره غيره ولا يبلغ الواصفون صفته، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾[2]. هذا وظاهر القرآن هو المكلف به شرعاً والذى تعبد الله به عباده، حتى إذا عملوا بما علموا، وَرَّثَهُم من أسرار غيبه وأنوار تجلياته ما به تسكن نفوسهم إلى حضرته العلية، وتطمئن قلوبهم إلى ذكره سبحانه.

فكل العلوم الكونية الضرورية لبقاء الإنسان معافى فى بدنه،آمنا فى سربه، ميسرا له قوته، مأخوذة من ظاهر القرآن.

وإليك بيان أنواع العلوم المأخوذة من القرآن إجمالاً، على أنى أسأل الله تعالى أن يمدنى بروحانية رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ويعيننى أن أفصِّل مجمل كل علم من تلك العلوم فى كتاب آخر إن شاء الله، مؤيدا كل علم بمأخذه من كتاب الله تصريحا، حتى يتنبه إخواتى المؤمنون،وهنا أكتفى بالإجمال عن التفصيل.

أنواع العلوم الإسلامية :

العلوم الإسلامية كثيرة ويمكن حصر كلياتها فى ستين علما.

---

(١) سورة إبراهيم آية ٣٤ .
(٢) سورة الزمر آية ٦٧ .

التقسيم الأول

أولا: علم الأدب

فإن العلم إن كان موضوعه الألفاظ والخط، ومنفعته إظهار ما فى النفس الفاضلة، وغايته حلية اللسان والبيان فالأدب.

وأنواعه وأجناسه عشرة، لأنه إن نظر فى اللفظ المفرد من حيث السماع، فاللغة (١)، أو الحجة فالتصريف (٢)،أو فى المركب فإما مطلقاً وهو المعانى (٣)، إلا أن تتبع تراكيب البلغاء، وإلا فالبيان (٤)، أو مختصا بوزن، فإن كان ذا مادة فقط فالبديع (٥)، أو صورة، فإن تعلق بمجرد الوزن فالعروض (٦)، وإلا فالقافية (٧)، أو فيما يعم المفرد والمركب معاً وهو النحو (٨)،أو بالخط فإن موضوعه الوضع الخطى، فالرسم (٩)، أو النقل، فقوانين القراءة (١٠).

ثانيا : علم الذهن

إن كان موضوعه الذهن، ومنفعته حلية الحدس والفكر والقوة العاقلة وغايته عصمة الذهن عن الخطأ فى الفكر فالميزان (١)، وهو المعيار الأعظم الموثق لبراهين العلوم الكونية، فلا ثقة بعلم من لم يحسنه فيها.

وقد طعن على المنطق قوم جهلوا ثمرته، التى هى ضبط ما يتعلق بنظامات المجتمع الإنسانى، ولا دخل له فى الشرائع بعد تقريرها بالمعجزة والعقل، فالشريعة حاكمة عليه، وجهل من رآه حاكماً عليها فذمه فى موضوعه.

وقد ثبت فى الحكميات أن الكلى إذا حكم عليه بشئ تبعه جزئيه، وبديهى أن النبوة كلى أجمع على صحتها الأئمة، فإذا لم تجد حجة لبعض جزئيات جاءت بها كتخصيص رمضان بالصوم، والتجرد عن الثياب عند الإحرام فى الميقات، كان برهانها القطع بالحكم الكلى، وهو صدق من جاء بها، وأجزاؤها تسعة أو عشرة، قدمنا الإشارة إليها سابقاً إجمالا بحسب اللائق هنا.

أما إذا نظر فيما جرد من المادة مطلقاً كما مر، وكانت منفعته صحة العقيدة، وغايته حصول سعادة الدارين فالإلهى (٢)، أو نظر فيما له مادة فى الذهن والخارج، فإن كان موضوعه البدن، ومنفعته حفظ الصحة، وغايته صون الأبدان من العوارض المرضية فالطب (٣)، أو أجزاء

البدن، ومنفعته معرفة التركيب، وغايته إيقاع التداوى على وجهه فالتشريح (٤)، أو نظر فى النقطة وما يقوم عنها من مجسم أو مخروط وكرة فالهندسة (٥)، أو فى تركيب الأفلاك، وتداخلها، ومقادير أزمانها فالهيئة (٦)، ومنفعتها معرفة المواقيت، وغايتها إيقاع العبادات فى أوقات أرادها الشارع، وجمعنا بينهما لأن الأول مبادئ الثانى. أو فيما يمكن أن يكون ذا مادة، وإن لم تكن، فهو المعروف بالرياضى (٧)، وقد عرفت أقسامه، أو كان نظره فيما سوى الإنسان، فإن كان موضوعه الجسم الحساس – غير الطيور – فالبيطرة (٨)، أوهى، فاليزردة (٩)، أو موضوعه الجماد، فإن كان موضوعه الجسم النباتى، فهو علم النبات (١٠)، ويترجم بالمفردات. وعلم الزراعة (١١) وأحوال الأرض (١٢) ويترجم بالفلاحة. أو معدن فإن نظر فى الطبيعى منه، فعلم المعادن (١٣) بقول مطلق. وتقسيمها إلى سائل وتام، وجامد، ومنطرق، وتقسيمها فى أنواعها، وأجناسها، وأثمانها، وخواصها،ومكانها، وزمانها، أو المصنوع فعلم الكيمياء (١٤). فالحكمة الأولى (١٥) والحكمة الثانية (١٦).

ثالثاً : ما يعلم بأمور ذهنية تستنبط من دال خارج

ومن العلوم ما يعلم بأمور ذهنية، تستنبط من دال خارج كالفراسة (١)، فإنها استدلال بالخلق الظاهر على الخلق الباطن. أو تستنبط من دال باطن على ظاهر، كعلم التعبير (٢) فإنه الاستدلال بمشاهدات النفس، عند خلوها، وانقضاء الشواغل على ما يقع لها فى الخارج. أو يستنبط من أمور خارجية المادة كعلم الهيئة (٣)[1]. أو من أمور باطنية كعلم المنطق (٤). ومنها ما هو استدلال بعلوى على علوى، كخواص الكواكب (٥)، ونسبتها لبعضها. أو بعلوى على سافل كالأحكام النجومية (٦)،أو بسفلى على مثله كالشعوذة (٧)، والسيميا (٨)، والسحر (٩)، أو استعانة ببعض الأجسام على بعض، بشرط مخصوص، نحو زمان ومكان كعلم الطلسمات (١٠).

وقد يكون النظر فى المواد اللطيفة لإصلاح البصر فالمناظر (١١)،أو للوصول إلى ارتسام شئ فى شئ فالمرايا (١٢)، وهو علم التصوير الشمسى. أو المواد الكثيفة لقيام الأمكنة فعلم المعاقد (١٣). أو لتعديل الخطوط والمقادير فالمساحة (١٤) أو لتعديل ما يعلم به المقادير فعلم الموازين (١٥) كالقبان . أو القدرة على حركة الجسم العظيم،بلا كلفة فجر الأثقال ومقاييس الماء (١٦) ويكون ذلك بفن البخار والكهرباء. أوفى تحريك جسم فى قدر مضبوط من الزمن فعلم السواقى

---

[1] علم الهيئة هنا يستنبط من أمور خارجية ، بخلاف المذكورة في البند ثانيا فإنها ذهنية .

(١٧) أو فن به يقوى على طريق قهر الظلمة المشركين فعلم اختراع آلات الحـــرب (١٨) وكـــل ذلك واجب شرعاً إما كفائى وإما عينى، أو مُرغَّب فيه شرعاً، وقد يحرم إذا قصد به غير وجـــه الله تعالى.

رابعاً : ما يستنبط باستخدام الذهن مادته الخارجية العلوية

وقد يستنبط باستخدام الذهن مادته الخارجية العلوية كـــالريح (١)، والتقـــاويم (٢)، والمواقيت (٣)،أو السلفة كالنيرنجات (٤)،أو المركبة منهما كعلم الرصد (٥)، وتسطيح الكرة (٦). والعلم الذهنى إما أن ينظر فى العدد، وهو الحساب(٧)، وينقسم إلى نـــاظر فى المعـــاملات، وهـــو المفتوح (٨)، أو المجهولات من مثلها وهو الجبر (٩)، أو من معلومات كالتخـــت (١٠)، والـــرقم (١١)، أو إلى تركيب البسيط وهو علم التكعيب (١٢).

أما القصب والدراهم فمن المعاملات (١٣)، وكذا الصبرات (١٤)، وإن تعلق بأعضاء مخصوصة فحساب اليد (١٥).

خامساً : الشرعى

الشرعى المسترعى بالقول المطلق والاصطلاح المخصوص، وإلا فالعلوم كلها ذهنية، من حيث افتقارها إليه.

التقسيم الثانى

ولنا ضابط غير هذه وهو أن مدار العلوم :

أولاً :علم الأذهان

وأصول علومها خمسة عشر علما، المنطق (١)، والحساب (٢)، والهيئة (٣)، والهندسة (٤)، والحكمة الأولى (٥)، والثانية (٦)، والإلهيات (٧) ، والطبيعيات (٨) ، والفلكيات (٩)، والسماء (١٠)، والعالم (١١)، والأحكام (١٢)، والمرايا (١٣)،والنغمات (١٤)، وغيرها، كالصناعات الخمس (١٥).

ثانيا : علم اللسان

وأما اللسان،وأصول علومه من اللغة (١)، والمعانى (٢)، والبيان (٣)، والبديع (٤)، والعروض (٥)، والقافية (٦)، والاشتقاق (٧)، والنحو (٨)، والصرف (٩)، والقراءة (١٠)، والصوت (١١)، والمخارج (١٢)، والحروف (١٣)، وتقسيم الحروف (١٤)، وتوزيع اصطلاحات الأدب (١٥).

ثالثا: علم الأبدان

وأصول علومها أنواع : الطب (١)، والتشريح (٢)، والصياغات (٣)، والسباحة (٤)، وتركيب الآلات (٥)، والكحل (٦)، والجراحة (٧)، والجبر (٨)، والفراسة (٩)، والنبض (١٠)، والبحارين (١١)، والأقاليم (١٢)، والتأثيرات الهوائية (١٣)، والملاعب (١٤)، والسياسة (١٥)،

رابعاً : علم الأديان

وأصول علومها : (١) التفسير للكتاب والسنة، (٢) الرواية،(٣) الدراية،(٤) الفقه، (٥) الجدل، (٦) المناظرة، (٧) الافتراق، (٨) استنباط الحجج، (٩) أصول الفقه، (١٠) العقائد، (١١) أحوال النفس بعد المفارقة، (١٢) السمعيات، (١٣) السحر للوقاية ، (١٤) ضبط السياسات من حيث إقامة الحكم، (١٥) العلم بالصناعات الميسرة للأقوات.

فهذه ستون علما هى أصول العلوم كلها، وإن كان تحتها فروع كثيرة، ويتداخل بعضها فى بعض – وإن بعد فى الظاهر – وكلها كمالات للمسلم، لأنها وسائل لفهم معانى القرآن المجيد، وقد بينها كتاب الله تعالى، وحث على النظر فى الكونيات علويها وسفليها.

وما فهم المسلمون من أسرار القرآن إلا بقدر مخصوص، لأن أحداً لا يمكنه أن يحصل أسرار آية واحدة منه، ولو استنفد جميع عمره إلا إذا علمه الله تعالى، قال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ﴾[1]. فسبحان من لا يعلم قدره غيره، ولا يبلغ الواصفون صفته.

وهذه العلوم لم تكن نظرية عملية قبل الإسلام بوجه من الوجوه، حتى ظهر الإسلام، فأشرقت أنواره القدسية على العقول والأفكار والقلوب والأرواح، وتنافس المسلمون فى العمل بكتاب الله وسنة رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ، فبحثوا، ونقّبوا، ونظروا، وعملوا، واخترعوا وابتكروا خدمة لكتاب الله، وعملا بسنة رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾،وقام منهم الدعاة فى كل أقطار الأرض فملأوا الأرض بأنوار الحكمة العملية والنظرية، وقام كل فرد من أفراد المسلمين بعد تحصيل ما يجب عليه من العلوم ممتازا بعلم من العلوم التى صرف نفيس وقته فيها، فكان منهم الطبيب النطاسى، والحكيم البارع، والفقيه المستنبط، والسياسى المحنك، والمخترع المدهش للعقول، والزاهد، والعابد، والعارف، والورع، مما لا يكاد يحصى ولا يعد. وانتشر هؤلاء العلماء فى كل الأنحاء، فأيقظوا العالم أجمع من الجهالة، كل ذلك بما سرى من روح القرآن فى أبدانهم، وأشرق من أنواره على قلوبهم، وتناولته العقول من طهور راحه، فكانت العقول منكسفة شموسها، والأفكار محجوبة فى ظلمات الجهالة.

(١) سورة البقرة آية ٢٨٢ .

الفصل الثانى

نيل الإنسان كماله بالقرآن وسعادته بالإسلام

جاء ﴿ ﷺ وآله﴾ بالنور المبين، والهدى والفرقان، فعلم الناس أن الله هو الحق الأحـــد، وأن من سواه وما سواه عِبَادٌ مقهورون بقهره، وعوالم مربوبون بعزته.

فكل العلوم التى أظهرها الإنسان فى هذا العصر، هى نتائج النهضة الإسلامية المباركة، إذ كان المجتمع الإنسانى قبل الإسلام هاويا فى الحضيض الأسفل، لم يبلغ رُقِّيُّهُ مبلغ كمال بعض أنواع الحيوانات، التى تتفاوت كالنمل والنحل والقردة والنسانيس، وذلك لأن المجتمع كان يمثـــل بَرِّيَّـــةً يسكنها أنواع كثيرة من الوحوش، والغزلان، والطيور، فكان قوت القوى من الضعيف ظلما.

وكانت قواهم العقلية منصرفة إلى التسليم الدال على فسادها، فإن منهم من كان يقدس الأنهار، ومنهم من كان يقدس الأفلاك، ومنهم من كان يقدس الحجر، ومنهم من كان يقدس البقر، ومنهم من كان يقدس الملوك، ومنهم من كان يَدَّعِى أن ولدا ولدته امرأة صار إلهـــا فعبـــدوه، أو اتخذوه ابن الإله، أو حل فيه الإله.

هذا ما كان عليه المجتمع، حتى أنقذهم الله بنوره المحمدى، فتحقق كل مسلم أن ما عدا الإنسان مُسَخَّر للإنسان، وأن الإنسان هو النوع الوسط الذى خلقه الله تعالى وجعله خليفة عنـــه سبحانه، والمقصود بالحياة الأبدية، فنشط الإنسان من عقاله، وعرف قدر نفسه فى هـــذا الكـــون، وبمعرفته نفسه عرف ربه، فقام يستخدم ما كان يقدسه ويعبده من دون الله.

لم يرتق أهل أوربا إلا بعد أن تَخَلَّوْا عن دينهم وقلَّدوا رجال العلم والعمل من المسلمين، فيما جَمَّلَهُم الله به من العلوم القرآنية. وبالعكس، فالمسلمون انحَطُّوا قدراً لما أن تهـــاونوا بأحكـــام دينهم. وما على العاقل المنصف إلا أن ينظر نظرة مفكر لينظر فيرى الإفرنج تقدموا ماديـــا بتـــرك دينهم، والمسلمون تأخروا بإهمالهم أحكام دينهم.

ولو أن المسلمين حافظوا على ما كان عليه السلف لدام لهم المجد الأول والعزة، قال الله تعالى : ﴿ وَلله العِزَّةُ ولِرسُولِه وَلِلمُؤْمِنينَ ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٢).

قلنا : إن أهل أوربا قد ارتقوا، ولكن لا تنس أن ما بلغه الإفرنج من الفنون والصناعات والتفنن فى قبائح السياسات والرذائل الناتجة عن الأطماع وحب البقاء والذات، لم يكن يكفل النفس ويؤهلها لنوال رقيها وسعادتها الأبدية، ولكنه يجعلها تتدهور فى حضيض الأسفلين، وتتسفل إلى مراتب الوحوش الضارية، لأن تلك الفنون والصناعات المراد بها طمع أشعى فى كل موجود من بنى الإنسان غير أمتهم، يجعل الإنسان شيطاناً وأشر، ووحشاً مفترساً وأضر، ويجعله بعيداً عن التشبه حقا بأحباء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام.

فكيف لا ؟! ولو أن تلك العلوم والصناعات أنتجت تلك الثمرة لما داموا – مع هذا الذى يسمونه تقدماً – على اعتقاد ألوهية المسيح ابن مريم الذى لم يعلم له أب، وشيدوا لهذه العقيدة المعابد، وبذلوا نفائس أموالهم ونخبة أفرادهم لدعوة بنى الإنسان لاتخاذ ولد ولد بسوريا من امرأة بارة بدون والد إلها، تلك العقيدة التى لا يسمعها من فم الداعى إليها إنسان – جاهل بالصناعات والفنون ولكنه زكى النفس بصير القلب – إلا اقشعر جلده من سماعها، إكباراً لمن أبدع هذا الكون أن يكون إنساناً ولدته امرأة، فما زادهم فنونهم وصناعتهم إلا انحطاطا عن درجة الإنسانية.

بلوغ الإنسان غايته بالعمل بالقرآن :

ظهر لنا أن الإنسان قبل القرآن كان أقل من البهائم الراتعة، وإن تفنن فى اختراع ما ينفعه وما يدفع عنه ما يضره، فإنه كان فى الحضيض الأسفل من مراتب الوجود، أقل من البهائم رتبة، وهو النوع الذى خلقه الرحمن على صورته،ذلك لأن البهائم لا تنقاد مذللة إلا بالقوة القاهرة.

---

(١) سورة المنافقون آية ٨ .
(٢) سورة النور آية ٥٥ .

والإنسان قبل القرآن انقاد بقوة فكره وعقله، واختار الإنسان مثله فجعله إلها يُعْبَدُ، أو لصورة صنعها بيده واتخذه إلها.

هذا ما كان عليه الإنسان قبل القرآن، ولكن أنوار القرآن وأسرار السنة جعلت الإنسان كاملا ظاهراً وباطناً، مكملا حسا ومعنى، فقام يعمل للدين والدنيا والآخرة ، فاهتزت أرض القلوب وربت، وبارك الله فيها، وأنزل عليها من سماء فضله ماءً أحياها فتنافس الناس فى العلم، وخدموا السنة والملة والجماعة، وصار الإنسان عالماً بمنزلته الحقيقية فى الوجود، وهى أنه خليفة عن ربه سبحانه وتعالى، سخر له كل ما فى السموات وما فى الأرض.

ولكن تركوا الاعتصام بالقرآن، واتبعوا حظوظهم، فقام كل وال فى ولايته يطلب استقلاله بملك ما هو مُولًّى عليه ومن هم مُوَلًّى عليهم، فمنهم من كان يسمى نفسه عضد أمير المؤمنين، أو قسيم أمير المؤمنين، حتى أنسوا من نفوسهم القدرة على الخروج على الإمام، أو أمن جانبه إن انفصلوا عنه، فمزقوا جسم المجتمع تمزيقاً، فشقوا عصا الطاعة، وغرهم خديعة أعداء المسلمين فذلوا، وقام كل أمير من الأمراء يريد إضعاف قوة جاره، حتى سلط الله عليهم من كانوا لا يخطر على قلوبهم أن يكونوا فى أمن وهم فى حصونهم فى بلادهم من هجمات المسلمين. أعوذ بالله من غضب الله، وأعوذ بوجهه الجميل من معصية تغير النعم، ومن مخالفة لأمره المقدس تدِيلُ الدول.

فهجم الإفرنج على المجتمع الإسلامى فى عقر داره هجماتهم المسماة بالحروب الصليبية، فهجموا على المسلمين على غرة منهم وهم طوائف متفرقون، وجماعات يكيد بعضهم بعضاً غافلون عن كيد أعدائهم. ولكن الله سبحانه بشرنا فى كتابه، قال تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (١) .

فاستيقظ المسلمون من نومة الغفلة، وقاموا فصدوا هذا السيل المنهمر بعد أن تمكن من بلاد المسلمين، فكان هجوم الحروب الصليبية داعيا إلى توبتهم، فنظر الله إليهم وأمدهم وأعزهم، فرجع الإفرنج وهم يعتقدون أن المجتمع الإسلامى لا يمكن أن يؤخذ قهراً ولا يُتَمَكَّن منه جبراً،

(١) سورة التوبة آية ٣٢ .

ولكنهم علموا كيف يكيدون، وتعلموا كيف يخدعون، وانهزموا شر هزيمة. ولكنهم اغتنموا كتباً علمية، وإن رجعت روح الإسلام تسرى فى أجساد ضئيلة، ونوره يشرق لآفاق تكاد تكون كليلة، والله يؤيد بنصره من يشاء. وهكذا اعتورت الأدوار هذا الجسد الطاهر المقدس، وهذا المجتمع الفاضل الكامل، وكلما كاد ينهار هذا العماد الرفيع السماك لحظته عناية مترل القرآن إكراماً لرسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ وحفظاً لكتاب الله تعالى، قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1]. وقد تمكن أعداء الإسلام والمسلمين من بث عامل الفساد بين المجتمع حتى أشرب أهل الغواية فى قلوبهم الفساد والضلال، وكانوا دعاة لتمزيق المجتمع وإذلال سلطانه وإضعاف قُوَّتِهِ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون، فقام بين كل جماعة صارخ يصرخ مرة بالإصلاح فى اقتفاء أثر الإفرنج، وتارة بإظهار عيوب ولاة المسلمين ومعاداتهم، وآونة بتجزئة الجسد الإسلامى بدعوى عرب وترك ومصريين وسوريين وسودان وهنود ويمن .

وعجباً لمن يسعى لحتفه بظلفه !! ويرى الخير أن رأسه يستقل عن جسده !!ويجهل شر هذا الغرض وسوء عاقبته !!.

لا أشك أنك أيها السائل صرت على يقين أن العمل بالقرآن واتباع الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ سعادة للمسلمين فى الدنيا، ونعيم أبدى فى الآخرة، وأن ترك العمل بوصايا القرآن ومخالفة سنة رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ذل فى الدنيا وعذاب فى الآخرة، وإنى – وإن كنت أرى من جماعة المسلمين الاستضعاف فى الأرض وأرى ما عليه الكافرون من الغرور والمعدات – فلا أقنط من روح الله، بل لا أزال واثقاً موقنا أن الله سبحانه وتعالى سيذل الكافرين أجمعين، ويأتى بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، يبينون مناهج القرآن، ويجددون معالم السنة، قال الله تعالى : ﴿ هُو الذى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بالهُدى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدينِ كُلِّهِ ﴾[2] أسأل الله تعالى أن يجعل لنا نوراً يقوى به يقيننا، وتجتمع به قلوبنا، ويجعلنا به أنصار الله حتى نفوز بسر قوله تعالى: ﴿ إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[3]

(١) سورة الحجر آية ٩ .
(٢) سورة الصف آية ٩ .
(٣) سورة محمد آية ٧ .

نصيحة لدعاة الإصلاح :

أيها الدعاة إلى الإصلاح والخير، أصلحوا أنفسكم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وآله﴾وتجملوا بالجمال الذى به يحبكم الله ورسوله، فيضع الله لكم المحبة فى قلوب عباده فيقتدى بكم الخاصة، ويأتم بكم العامة، ودعوا الجنسية والوطنية الكاذبة، والشخصية الفاسدة، فَإِنَّا جماعة جِنْسُنَا الإسلام، ووطننا الإسلام، وشخصنا الإسلام، ومن كان كذلك فهو مِنَّا ولنا، ومن لم يكن كذلك لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلا، بذلك ينظر الله إلينا، ويبسط يده الكريمة علينا، ويمدنا بعنايته الربانية، ويؤيدنا بنصره العزيز، سر قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ ﴾ [1] الآية.

أنت أيها الداعى إلى الإصلاح، الظان أن كل أسرة من المدينة يجب أن تستقل بنفسها، وتنخلع من المدينة التى تمثل جسدا واحداً لكل فرد من سكانها وظيفة خاصة به، ثم تظن الأسرة أنها بعد ذلك تمثل جسداً كاملا !! لقد جَهِلْتَ، لأن اللصوص الذين يسطون على المنازل ليلا لسلب الأمتعة يسرهم أن تستقل كل أسرة بنفسها، وتنفصل عن بقية سكان المدينة، وبذلك لا يحتاجون أن يأتوا ليلا خفية بل يأتون نهاراً، فيسلبون كل أمتعة أهل المدينة بدون أن يروا ممانعا، لأن كل أسرة انفصلت عن الأخرى، وعند سطو اللصوص عليها ليلا أو نهاراً يخلع الفزع قلوبهم يائسين ليأسهم من معاونة جيرانهم إن استغاثوا بهم لضعفهم عن دفع العدو عنهم، و لم يكن إلا الاستسلام، فيأخذ اللص الأمتعة لينتفع بها، والأشخاص ليستعبدهم، لاعتقاده أن أهل المدينة لا يُعِينُ بعضهم بعضاً.

فكذلك أنت أيها الداعي إلى الإصلاح، الجاهل سر الاستعمار، الباحث بظلفه عن حتفه، تحب أن تستقل وتمثل مملكة مستقلة تمثل مراكش أو تونس أو الجزائر أو طرابلس أو مصر أو سوريا أو اليمن، حظ تستعجله لنفسك، وهاوية شر يهوى بها جميع المجتمع،أعوذ بالله من داع يَدَّعِي أنه يدعو للإصلاح، وهو يسعى فى فصل أعضاء الجسد من الجسد، ويجهل أن كل عضو فصل عن الجسد استولت عليه الكلاب فأكلته، وأن الجسد بعد فصل أعضائه يستولى عليه النمل والديدان وصغار الحشرات. فحسبكم يا قوم، فإن الخير كله في الجماعة، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا

---

(١) سورة النور آية ٥٥ .

فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [1] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [2].

تمثل أيها الداعي للإصلاح أن جماعة المسلمين – أين كانوا – جمعهم الله سبحانه وتعالى وألف بين قلوبهم، فرجعوا إلى ما كانوا عليه فمثلوا جسداً واحداً صحيح الأعضاء قوى البنية نَيِّرَ العقل، هل تتصور أن أوربا لو اجتمعت وقامت يمكنها أن تستولى على شواطئ مراكش فضلا عن الهند وغيرها ؟ أسأل الله أن يوقظ قلب هذا الداعي من رقدة الغفلة ونومة الجهالة، ويجعله يشعر بقدر القوة والعزة والمنعة التي تكون لكل فرد من أفراد المسلمين فى الوقت الذى يمثل المجتمع الإسلامى جسداً واحداً كما قال﴿ ﷺ وآله﴾ : " المسلمون كالجسد الواحد ".

يسهل عليك أيها الداعى أن تدعو الجماعة إلى ما دعاهم الله إليه ودعاهم رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ، مما لو نَبَّهْتَ قلوب المسلمين إليه، لطارت إليك القلوب والأشباح ولبتك مطيعة، نَبِّه المجتمع الإسلامى بما كان لسلفنا الصالح مذ كان الإسلام وطننا، وكنا جميعاً جسداً واحداً يعمل الأصبع لخير الجسد، يغفر الله لى ولك أيها الداعى، تفصل اليد من الجسد، والمعدة من البطن، والقلب من الصدر، والرأس عن العنق، وتقول : نرقى ونسود وتكون لنا شخصية ووطنية ؟! لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم !! يقطع الإنسان الآلات التى يعمل بها، والأدوات التى يستعين بها، ويقول : أنا أكون سيداً عظيماً!!.

ليست الحقيقة التى أشرحها بالخفية حتى تحتاج إلى دليل، ولا بالمحجوبة عن الأبصار حتى أقيم عليها البرهان، ولكنها بديهية، والهوى عَمىً، والحظ هاوية، ومن رباه العدو كيف يكون سلما لأهله ؟!! أسأل الله تعالى أن يحفظنا – جماعة المسلمين – من البدع المضلة والأهواء المذلة، إنه مجيب الدعاء وأن يهدى قلوبنا جميعاً لما فيه خيرنا فى الدنيا والآخرة، آمين.

نيل السعادة بالمحافظة على الإسلام :

إذا جملنا الله تعالى بجمال اليقين بأن وطننا الإسلام، صار المسلمون أين كانوا وكيف كانوا، كالجسد الواحد، فيكون كل مسلم من كل مسلم ككل عضو من كل عضو، ويكون

(١) سورة الأنفال آية ٤٦ .
(٢) سورة الأنعام آية ١٥٩ .

المسلم لأخيه كالرأس للجسد، أو الجسد للرأس، ونتناسى الأنساب التى وضعناها إلا بتأدية حقوقها التى أوجبها الله علينا، ويكون المسلم ولى المسلم مهما ترامى بلده وبعد نسبه واختلف لونه ولغته، سر قوله﴿ ﷺ وآله﴾ : " إن بنى فلان ليسوا لى بأولياء، إنما وليى الله وصالح المؤمنين، ولكن لهم رحم أبلها ببلاها ".

وبذلك يحفظ كل مسلم وطنه بماله، ويبخل بماله أن ينفق فى غير وطنه العزيز، فلا ينفقه فى مشترى لوازمه من أعداء وطنه العزيز فيكون ذلك قوة لهم على مضرة الوطن.

وقد رأى بعض العلماء أن المسلم يجب عليه أن يرجع عن حج النفل إن كان فى ذهابه لحج النافلة تقوية الظالمين الصادين عن البيت الحرام. ومعونة أعداءٍ بالمال كمعونتهم بالنفس؛ فيحرم الحج نفلا إذا كان فيه تقوية الصادين عن المسجد الحرام الظالمين.فإذا كان حج النفل يحرم لأنه معونة بالمال لأهل الظلم الصادين عن البيت الحرام، وطلب المال من آمين البيت الحرام يجعل الحج النفل محرماً، حتى لا يعين الظلمة، فكيف يستحسن المسلم أن يعين أعداء الإسلام باستعمال تجارتهم والسفر إلى بلادهم وتقليدهم فى أعمالهم والاستعانة بهم فى الأمور الضرورية ؟ كل ذلك مما يعينهم ويقويهم على نيل مقاصدهم التى هى إذلال الوطن العزيز وسلب المجد والملك من أيدى المسلمين.

وأى عاقل يبذل ماله ونفسه لينال ذلا وصغاراً وفقراً وعبودية لأعداء الدين ؟؟ قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : " كل واحد من المسلمين على ثغر من ثغور الإسلام، فإن ترك المسلمون فاشدد لئلا يؤتى الإسلام من قبلك ". وقال عليه الصلاة والسلام: " المسلمون كرجل واحد ". ومثل المسلم من المسلمين كمثل الرأس من الجسد يؤلم الجسد ما يؤلم الرأس، ويؤلم الرأس ما يؤلم الجسد. وقد يتأول بعض أهل الغرة قائلا : إنما نعمل ذلك للضرورة التى تبيح شرعاً لنتداوى أو لنقرب إليهم وندفع الشر عن أنفسنا أو لنتجمل بما اخترعوه، وذلك لجهله بنتائج هذا العمل، ويا ليته لم يتداو، ومات ولم يعنهم بالمال الذى به سلبوا السلطان والعزة من أيدى المسلمين، وقهروا الناس على الخروج من الإسلام، وصيروا المسلمين أذلاء لهم،كل ذلك بالتهاون فى خدمة الوطن العزيز الذى هو الإسلام، وبترك العمل بوصاياه، وبالفخر بالأنساب التى ما أنزل الله بها من سلطان، وترك الافتخار بما هو الفخر الحقيقى والمجد.

ليفتخر الإنسان – إن كان ثم فخر – بالمحافظة على الوطن العزيز، الذى هو الإســـلام والعمل بوصاياه، ليكون عزيزاً منيعاً كل فرد من المسلمين بخيره ومجده وسعادته فى الدنيا والآخرة. قال كعب الأحبار رضى الله عنه : مثل الإسلام والسلطان مثل العمود والفســـطاط، فالفســـطاط الإسلام، والعمود السلطان، والأوتاد الناس، ولا يصلح بعضها إلا ببعض. وخطب سعيد بن سويد بحمص، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال : أيها الناس إن للإسلام حائطاً منيعاً وباباً وثيقـــاً، فحـــائط الإسلام الحق، وبابه العدل، ولا يزال الإسلام منيعاً ما اشتد السلطان، وليس شدة الســـلطان قـــتلا بالسيف ولا ضرباً بالسوط ؛ ولكن قضاء بالحق وأخذ بالعدل.

تطلب مؤلفات الإمام المجدد

السيد محمد ماضى أبو العزائم عليه السلام

من مكتبة دار الكتاب الصوفى

تليفون **002 022 3901030**

١١٤ش مجلس الشعب

فى جانب تفسير القرآن :

١– هذا السفر الجليل " أسرار القرآن ".

٢ تفسير سورة القدر.

فى جانب العقيدة :

١– كتاب عقيدة النجاة .

٢– كتاب الإسلام دين الله وفطرته التى فطر الناس عليها.

فى جانب العلوم الفقهية:

١- كتاب أصول الوصول لمعية الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾.

٢- صيام أهل المدينة المنورة.

٣- هداية السالك إلى علم المناسك .

فى جانب السيرة النبوية والرد على المستشرقين:

١- سيرة النبى ﴿ ﷺ وآله﴾

٢- وسائل إظهار الحق .

فى جانب ما يجب أن يعرفه المسلم :

١- النشأة الثانية.

٢- الوسيلة وما إختلف فيه من السنة والبدعة.

٣- الشفاء من مرض التفرقة.

٤- الجفر.

٥- تحذير الدين من بيع أراضى فلسطين.

٦- النور المبين لعلوم اليقين ونيل السعادتين.

٧- الرد على نظرية دارون.

فى جانب الأخوة الإسلامية :

١- الإسلام نسب يوصل إلى رسول الله ﴿ ﷺ **وآله**﴾.

٢- الإسلام وطن والمسلمون جميعا أهله.

فى جانب المناسبات الدينية :

١- السراج الوهاج فى الإسراء والمعراج

٢- بشائر الأخيار فى مولد المختار

٣- مشارق البيان فى فضائل شعبان

٤- لبيك اللهم لبيك.

فى جانب المسرحيات الدينية :

١- محكمة الصلح الكبرى.

٢- العالم والتاجر والفلاح.

٣- المقتصد والمسرف والفاسد.

٤- السياسى والحكيم والغشيم.

٥- الصالح واللص والسكرى.

فى جانب الصلوات والأدعية :

١- نيل الخيرات بملازمة الصلوات.

٢- الفتوحات الربانية والمنح النبوية فى الصلاة على خير البرية.

٣- الأدعية والاستغاثات الكبرى.

فى جانب التصوف :

١- شراب الأرواح من فضل الفتاح.

٢- تذكرة المرشدين والمسترشدين.

٣- معارج المقربين.

٤- الطهور المدار على قلوب الأبرار.

٥- من جوامع الكلم.

٦- الطريق إلى الله تعالى.

٧- الفرقة الناجية.

٨- دستور السالكين طريق رب العالمين.

٩- دستور آداب السلوك إلى ملك الملوك.

١٠- مصطلحات الصوفية

١١- آداب أل العزائم

١٢- دروس تزكية النفوس

١٣- موارد أهل الصفا

١٤- قبس من المضنون

١٥- الصوفية والتصوف

فى جانب المواجيد:

١- مواجيد شهر محرم، صفر، ربيع أول، ربيع آخر، جماد أول، جماد آخر، رجب، شعبان، رمضان.

٢- المواجيد العزمية فى مواجهة الروضة الحسينية.

٣- ديوان ضياء القلوب من فضل علام الغيوب.